من سمات الجمال في القرآن الكريم

الألوان ودلالاتها نموذجاً

د. عفاف عبد الغفور حميد*

تاريخ وصول البحث: 2008/5/4م   تاريخ قبول البحث: 2008/9/2م

ملخص

الألوان آية من آيات الله، ووسيلة للتفريق بين الأشياء، وقد بين القرآن أن اختلاف الألوان دليل على قدرة الله وعظمته في خلقه، ويلفت النظر إلى كون الألوان سمة من سمات الجمال، فيضيف له وظيفة أخرى وهي التعبير الفني والجمالي، فجاء استعماله في القرآن مرتبطاً بالمعنى، وأحياناً مع الحركة ليعبر بدقة متناهية عن مقتضى الحال، واختيار ألوان بعينها في القرآن ظاهرة من مظاهر الإعجاز العلمي يقود إلى الاستدلال بالخالق، والبحث محاولة للربط بين دلالة القرآن للون في موقف معين مع دلالته العلمية، فالألوان علم وحوله دراسات ذات علاقة بعلوم أخرى طبيعية وفيزيائية وفلسفية ونفسية، وليبين موافقة العلم الحديث لما توصل إليه القرآن في دلالات الألوان وخصوصاً تأثيره على النفس الإنسانية سلباً أو إيجاباً، ويؤكد تعدد دلالات اللون الواحد تبعا للمواقف والظروف، وقد رصد البحث الألوان التي ذكرها القرآن كالأبيض والأسود والأخضر والأحمر والأصفر والأزرق، والإشارات إلى الألوان البينية، وهو محاولة متواضعة في مجال دراسات إعجاز القرآن الكريم.

Abstract

Colors are one of the outstanding evidences of Allah (S.W.T), as well as the means to explain things. The holy Qura'n illustrates the difference of colors and proves the grandeur of Allah in His creation and also highlights that colors are one of the attributes of beauty. Thereby, adding to colors another function, which is the artistic and the aesthetic expression. This research discusses the colors mentioned in the Qura'n and attempts to link between the Quranic implication for a color in a specific situation and its scientific implications and also sheds light on the agreement between the Qura'nic and the modern scientific achievements with regard to colors' implications, especially its effect on the psychology of mankind in a positive or negative way. However, under different circumstances the same color would imply different meaning. Furthermore, the colors mentioned by the Holy Qura'n such as, white, black, green, red, yellow and blue. This humble paper attempts to explore more findings to the field 'Studies of Quranic I'jaz (Quranic miracle).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين لنعمه، والصلاة والسلام على الهادي الأمين محمد ε وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

على الرغم من كثرة المؤلفات وتنوعها حول القرآن الكريم، تبقى الحاجة مستمرة للكشف عن أسراره التي لا تنقضي ، وقد نبـهّ العلماء والمفسرون والباحثون إلى الكثير من أسراره البلاغية والتشريعية والعلمية ولكن تبقى معجزة القرآن الخالدة هي معجزة بلاغية في المقام الأول تبرز في أساليب التعبير القرآني وتنوعها.

ومن الإعجاز البلاغي في القرآن أساليب التعبير فيه التي تربط بين المعنى واللون والحركة، وهي

---

* أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة الشارقة.

تكوّن وحدة عضوية محكمة ومنسجمة تتميز بالدقة الفائقة في استعمال كل لون في سياقه الطبيعي، وكل حركة في موقعها المناسب.

وقد ذكر القرآن اختلاف الألوان آية من آيات الله، وفيها تنبيه على أن الألوان ذات تأثير على النفس الإنسانية، وإلى الإحساس بجمال الأشياء من حولنا لكونها خلقت بألوان مختلفة متناسقة متناغمة.

وسوف أكتفي في هذا البحث بالكشف عن استخدام القرآن الكريم للألوان، ومطابقة التعبير القرآني للألوان مع مقتضى الحال، والذي يشكل جانباً من جوانب الإعجاز القرآني، فبالرغم من كثرة المؤلفات إلا أن البحوث حول الألوان تكاد تكون محدودة وضيقة، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث والذي أحاول من خلاله كذلك الربط بين دلالة الألوان في القرآن والعلم.

وهذا البحث يجيب عن أسئلة تتلخص في: هل للألوان تأثير في حياتنا؟ وما السر في التعبير عن موقف أو حالة بلون معين دون سواه؟ وهل للون الواحد دلالة ثابتة على الحسن والقبح أم له دلالات مختلفة؟ وأخيراً هل يمكن توظيف اللون في ضوء ذلك في التأثير على الأشخاص نفسيا وجسديا، ومن ثم لتشخيص حالة مرضية وعلاجها عن طريق الألوان؟

أما الدراسات السابقة: فهناك دراسات حديثة محدودة باستثناء كتب التفسير التي تتعرض للون في سياق الآية وصفاً دون التعمق في دلالاته منها(1):

كتاب: الألوان في القرآن الكريم لعبد المنعم الهاشمي، فسّر باختصار أصل اللون علمياً، وتتبع مواطن الآيات التي ذكرت فيها الألوان وتفسيرها حسب ما هو متعارف في البيئة العربية.

معجزة الله في خلق الألوان، لهارون يحيى، والكتاب يدور حول معجزة خلق الألوان وعلى لغة اللون في الطبيعة، ووظيفته لبعض الأحياء في استخدامه للتمويه حماية واختباء، ووسيلة للاتصال أو إشارات الإنذار، مع شرح ذلك بالصور الملونة.

من سمات الجمال في القرآن الكريم، لسيد خضر، والكتاب يدور حول وسائل تربية القرآن للمسلم في الإحساس بالجمال، باستخدام هذه الكلمة ومرادفاتها كالزينة والحسن والزخرف، واستخدام الألوان لهذا الغرض ذاكراً الآيات التي ورد فيها كل لون دون التعمق بمدلولاتها.

وجلّ هذه الأبحاث لم تركز على تنوع دلالة اللون الواحد كما ورد في القرآن الكريم، والتعبير بأحدها دون غيره حسب مقتضى الحال، مما ساعد في وصف المشهد المراد حسنا وقبحا، مع محاولة الاستفادة من جهود العلماء المتخصصين في توظيف الألوان في تشخيص الصفات الفردية من خلال تفضيلها للون معين، وعلاج حالات مرضية.

وسأتناول الموضوع في مبحثين: الأول سأبين فيه أن الألوان من آيات الله، وأنها من الجمال المدرك بالبصر، ثم الألوان بين العلم والقرآن، والمبحث الثاني: أتناول فيه الألوان بحسب ورودها في القرآن وهي: (الأبيض والأسود والأخضر والأصفر والأحمر والأزرق)، وتعدد دلالة اللون الواحد، والخاتمة ببيان وظيفة الألوان في القرآن. وعسى أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع ودراسته.

المبحث الأول

وظيفة الألوان وموقعها بين العلم والقرآن

أولاً: الألوان آية من آيات الله.

اللون- واحد الألوان: وهو ما فصل بين الشيء وبين غيره، والنوع، وهيئة كالسواد، وقيل صفة الجسم من السواد والبياض والحمرة، وما في هذا الباب، واللون الأولي: أحد أقسام الطيف الأصلية (2). ويأتي اللون بمعنى: النوع، يقال فلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد وحال واحدة(3).

واللون مادة التعبير عن وصف الشيء، فهو يقوم مقام الصوت في الأداء الشعري مثلاً، أو مقام اللفظ في الجملة، كما إنه سمة من سمات الجمال والحسن التي هي من جوهر الإسلام. وللقرآن في استعمال اللون دلالة خاصة، فهو ليس هدفاً بذاته وإنما للدلالة التي يحملها اللون ويراد نقلها إلى المتلقي، لتؤدي دورها التأثيري فيه عقيدة وسلوكاً.

وقد جاء "اللون" بمشتقاته في القرآن في تسعة مواضع. في موضعين منهاجاء اللفظ لبيان وصف بقرة بني اسرائيل في قوله تعالى: [قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ][69: البقرة]، مما يدل على أثر هذا اللون في البهجة وانشراح الصدر. وقال ابن كثير عن سعيد بن جبير: فاقع لونها صافية اللون وعن ابن عباس: شديدة الصفرة. وعن السدي في "تسرّ الناظرين": تعجب الناظرين(4).

وفي سبعة مواضع أخرى جاء لفظ "اللون" ليؤكد حقيقة ظاهرة يريد القرآن لفت النظر إليها عن طريق تكرارها وهي "اختلاف لون المخلوقات" وهذا التكرار مدعاة للتدبر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى الدالة على عظيم قدرته فهو الخالق لكل شيء ، وأراد أن يكون اللون أداة مهمة للتمييز بين المخلوقات.

قال تعالى: [وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ] [22: الروم]، فاختلاف اللسان هو للغة واختلاف اللون للبشرة، ومع كون الجميع من آدم وحواء، فهذا مدعاة للتفكير والتدبّر. وقد جعل اختلاف اللون آية من صنع الله وبذلك يكون "قدراً من قدره وأنه لا يصلح أساساً للتفرقة العنصرية أو صرخات الدماء"(5).

وقد جاءت هذه الآية في سياق تعداد آيات الله في الكون وهي مرتبطة بآية السماوات والأرض، يقول الزمخشري: "ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس... وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحليّ، وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد"(6).

وتبيّن الآية الآتية أن اختلاف الألوان في كل شيء، فضلاً عن دلالته على قدرة الله وعظمته وصنيع خلقه، فهو نعمة من نعم الله التي منحها للإنسان تستحق الذكر قال تعالى: [وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ][13: النحل]، ونبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، في الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والخواص، وجاء التعقيب عليها بقوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] أي على آلاء الله ونعمه فيشكرونها(7).

وجاءت الآية في سياق تعداد نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على عباده، فكانت الألوان هي بحد ذاتها آية ونعمة كبيرة له ليميز بين الأمور، كما تثبت الآية أن اختلاف اللون يسري على كل شيء في الوجود.

وجاءت الآية الأخرى لتؤكد أن اختلاف اللون يشمل الأشربة وذكر عسل النحل مثالاً لذلك فقال: [يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ][69: النحل]، فالآية توضح أن اختلاف الشيء الواحد مثل العسل وذلك حسب ألوان الأزهار التي تتغذى عليها النحلة فهو "ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها"(8).

كما جاءت آيات أخرى تؤكد أن اختلاف الألوان في الزروع والنباتات والثمار آية ونعمة كذلك في قوله تعالى: [ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا][21: الزمر] ، قال الزمخشري:"مختلفاً ألوانه" هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك وأصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها" (9). هذه الآية فيها لفتة إلى حياة النباتات بعد إنزال الماء فهو يثير الإحساس بالخالق المبدع فالزرع المختلف ألوانه في البقعة الواحدة، بل في النبتة الواحدة، بل في الزهرة

الواحدة إن هو إلا معرض لإبداع القدرة يشعر الإنسان بالعجز عن الإتيان بشيء منه أصلاً (10). وهذا المعنى تؤكده آية أخرى :[فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا] [27: فاطر].

وفي الآيتين نجد أن الهاء في "به" تعود إلى الماء، وهي تشير إلى قدرة الله في اختلاف ألوان الزروع والثمار مع أنها كلها من تربة واحدة وماء واحد، ومع ذلك تختلف الألوان فضلاً عن اختلاف الطعوم. بل الاختلاف يكون في الشيء الواحد بألوان متفاوتة.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:[وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [4: الرعد].

وتلفت الآية انتباهنا لنتأمل ونرى ما حولنا من أنواع الأشجار والخضر والفواكه وكيف تنبت المحاصيل المختلفة من تربة واحدة وماء واحد، فلو نظرنا مثلاً إلى البطيخ والشمام والموز وغيرها وجدنا لكل منها لوناً متميزاً ورائحة وطعماً مختلفاً، وكذلك الأزهار فألوانها لا حصر لها فضلاً عن اختلاف أشكالها وعطورها.

كل ذلك دليل على بديع صنع الخالق سبحانه وتعالى وقدرته مما يزيد الإيمان بأن وراء ذلك مدبر فرد، وأنه سخر ذلك من أجل سعادة الإنسان كما قال:[هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ][15: الملك].

وإذا رجعنا للتفسير العلمي لكيفية تكوين الألوان المختلفة في النباتات نجد أن الحقيقة العلمية لتكوين اللون في جميع الأجسام تكاد تكون واحدة، وملخصها أن ظهور اللون هو نتيجة لتفاعل الجزيئات الصبغية الموجودة في بنيتها مع الضوء، فالضوء المرئي الذي يصل إلى الأرض قد صمم خصيصاً للجزيئات الصبغية والتي تعرف بجزئيات اللون في الخلايا الحية. ومن الواضح أن اللون السائد في علم النبات هو الأخضر بدرجاته، ويعتبر الكلوروفيل (Chloropasta) المادة الأساسية المسؤولة عن إنتاج اللون الأخضر، وهي صبغيات موجودة داخل اليخضور منتشرة في خلايا النباتات، تمتص الضوء القادم من الشمس بسهولة وتعكس اللون الأخضر بعملية (التركيب الضوئي)(11).

كما توجد أصباغ أخرى مثل صبغيات الجزرين (Coroteniod)، وهي صفراء نراها في الذرة والليمون والأزهار الصفراء، وأحياناً يميل اللون إلى الحمرة كما في الطماطم والجزر وغيرها، وتحدث تغييرات في فصل الخريف عندما تصبح ساعات النهار أقصر، وتتوقف النباتات عن تصنيع الكلوروفيل وتضعف الصبغيات ويبهت لون الأوراق الخضراء، والمعلومات حول جميع الصبغيات توجد في شيفرة (DNA) الخاصة بالنباتات، لهذا فإن صنفاً من النباتات يحمل ذات الخصائص أينما وجد على الأرض(12).

ثم تؤكد الآية في سورة فاطر اختلاف الألوان في بقية المخلوقات الحية من البشر والدواب حيث يقول تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...][28: فاطر].

فبعد أن بين الله اختلاف ألوان النباتات والجبال كدليل على قدرته عطف عليها هذه الآية أي: وكذلك الحيوانات، من الناس والدواب. وهو كل ما دبّ على القوائم (والأنعام) من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضاً... فالدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين(13).

ومن الناحية العلمية فللجزيئات الصبغية المعينة في جلد الكائنات الحية تمتص الضوء بانتقاء معين وتتفاعل مع الضوء بطريقة خاصة ثم تنتج تفاعلاً كيمياوياً خاصاً و من ثمَّ تكون لوناً معيناً (14)، وبناءً

على ذلك نجد اختلاف ألوان البشر وتفاوتها بين البشرة البيضاء والسمراء والسوداء بدرجاتها المختلفة.

أما الاختلاف في ألوان الحيوانات والحشرات فتفسيره العلمي هو ما سبق ذكره، ولكنه من الناحية الوظيفية أشمل بكثير من النباتات والكائنات الأخرى.

فمعظم الكائنات الحية تحتاج لمساعدة الألوان لكي تجد غذاءها؛ لأن في الألوان خصائص امتصاص الحرارة أو التخلص منها ، كما تستعمل التلون في حماية نفسها من الأعداء وللتمويه والاختباء، مثل الكثير من الحشرات التي تتلون بألوان مختلفة تبعاً للزهرة التي تحطّ عليها، ومثل ذلك بعض الضفادع المتخفية بين الأغصان والأوراق . والتمويه عند الزواحف معروف كذلك حيث تتماثل مع محيطها الذي تعيش فيه، والحرباء أكثر الحيوانات تمويهاً لقدرتها على تغيير جلدها حيث إن خلايا جلدها الحاملة للون تستجيب لتغييرات مزاجها والضوء والحرارة، وبعض الحيوانات تحمي نفسها باللون من البرودة والحرارة، كما يستخدم البعض الآخر اللون للتحذير كإشارات إنذار عندما تهاجم (15). والكلام في هذا المجال واسع يراجع في مظانه من الكتب، والمحصلة أن الله الخالق المبدع جعل للألوان وظائف كثيرة لجميع المخلوقات.

ثم الاختلاف في اللون لا يقتصر على الكائنات الحية بل يعم كذلك الجمادات حيث يضفي اللون عليها دلالة وكأنه كائن حي ، يقول تعالى في نفس السياق: [وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ][27: فاطر].

وهكذا نرى إن الاختلاف في الألوان يشمل كل الكون والذي انتظم في آيتين في سورة فاطر كما مرّ منبهاً في أولها على التفكر والنظر في ذلك فقال: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ][27-28: فاطر].

إن في تعدد ألوان الأحجار وامتزاج أحدها بالآخر لجمالاً يبهر العين تماماً كما تبهرها ألوان الشعب المرجانية في قاع البحر الأحمر ... والقرآن الكريم يذكر عبارة "مختلف ألوانها" بعد قوله تعالى: [بيض وحمر] وكأن في هذا إشارة إلى أن اللونين الأساسيين هما الأبيض والأحمر أما ما عداهما من ألوان مختلفة فهي مركبة من هذين اللونين.

هذه الآية فيها لفتة إلى الألوان المتنوعة في الكون بكل ما فيه من ثمرات وجبال والناس والدواب والأنعام، كل ذلك في كلمات تجمع الأحياء والجمادات يقول سيد قطب رحمه الله: "ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات فإنه لا يذكر هنا من الثمرات إلا ألوانها، وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداء جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال، فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد.."(16)، وينتقل إلى ألوان الجبال ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، "ومن الجبال جدد بيض وحمر... وغرابيب سود"، "والجدد الطرائق والشعاب، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون والتظليل، والألوان الأخرى المتداخلة فيه ، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد... ثم ألوان الناس وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه... وكذلك ألوان الدواب والأنعام... والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور(17).

والملفت للنظر تلك الخاتمة لهاتين الآيتين "إنما يخشى الله من عباده العلماء" أي إن العلماء الذين يتلون صفحات هذا الكتاب (القرآن) ويتدبرونه هم الذين

يخشون الله، فالذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وهم علماء العلوم جميعاً الذين أدركوا حقيقة الإعجاز العلمي في مخلوقات الله، وهذا التعقيب له صلة بما قبله بمعنى: ألم تعلم بأن الله أنزل من السماء ماء، وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدل به عليه وعلى صفاته، ثم أتبع ذلك بقوله: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] كأنما قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه"(18).

وبهذا المعنى قول الرسول ε: "أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به"(19).

وهكذا فإن الفواصل ترتبط بالمعاني ارتباطاً وثيقاً وهو ما يلحظ في آيات القرآن كلها، حسب تباين الصورة المعروضة والتي في مجملها تفيد التذكير وأخذ العبرة كما قال تعالى: [وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ][13: النحل](20).

والحديث عن الطبيعة ومن ضمنها الألوان في القرآن يتوخى منه العبرة، ويقصد منه الفائدة والموعظة فلا تعرض لمجرد ا لاستمتاع أو التلذذ بل في كل موضع المراد هو "العبرة"، فالقرآن يختار من عناصر الطبيعة ما فيه تحقيق غرضه والوصول إلى هدفه الذي جاء من أجله(21).

ثانياً: وظيفة اللون الجمالية في القرآن:

إن القرآن الكريم يربي في المسلم الحس بالجمال من خلال دعوته للنظر في آيات الله ومناظر الكون... كما نبه إلى ذلك رسول الله ε وهو القائل: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس(22).

لقد خلق الله تعالى كل ما في الكون وسخره لخدمة الإنسان ولتحقيق راحته وهنائه، وحرصت القدرة الإلهية على أن تكون المخلوقات جميلة مع كونها نافعة، فيفيد الإنسان وينتفع، وفى الوقت ذاته يسر بجمال الأشكال وتعدد الألوان... ذلك الجمال الرائع المنبث في لوحه الكون، وإذا غفلت عيوننا البشرية عن الالتفات إلى مشاهد الجمال ذكّرنا القرآن الكريم بها.

ومن المؤكد أن الألوان سمة من سمات الجمال، فنرى القرآن يفصّل أحياناً في وصف الشيء بألوانه فيضيف إلى وظيفة الألوان الأساسية–وهي التمييز بين الأشياء– وظيفة أخرى وهي التعبير الفني والجمالي، فمن ذلك وصف الآيات الكونية بألوانها في عالم الحياة الدنيا في مخلوقات حية وغير حية، وفي عالم الآخرة وصف جمال الجنة بخضرتها وأنهارها وثمارها وأكوابها وملابس أهل الجنة فيها.

ونلاحظ أن وظيفة اللون الجمالية والتزينية تكمن في توضيح الصورة وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى، وبلاغة التعبير، والتأثير بالتشويق أو التنفير مما يوقظ القلب وينبه الحواس ويثير الشهية للتذوق(23).

وقد وهب الله الإنسان وسائل الإحساس بهذا الجمال، وأبرز وسيلة للإحساس بالألوان هي حاسة البصر، ونرى آيات كثيرة تتبه الإنسان لاستعمال هذه الحاسة والنظر إلى ما حوله من ملكوت الله ومخلوقاته لتكون وسيلة للإيمان والثبات عليه [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ* فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ][3–5: الملك].

ومن أجل تربية الإحساس بالجمال عند المسلم استعمل القرآن التعبير بالألوان لتكون الصورة شاخصة ملونة كما في قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ][99: الأنعام]، فلا يمكن تخيل هذه المناظر والثمار والفواكه إلا بألوانها التي تمر في خيال القارئ للآيات وتبرز الألوان في المخيلة... ألوان الزيتون والنخيل

والرمان على اختلافها، فتملأ النفس بإيحاءات الجمال ومن ثم تحقق المتعة للنفس ليكون حافزاً لإدراك الصنعة الإلهية.

وقد وردت مفردة الجمال في القرآن مرة واحدة بصيغة المصدر، وسبع مرات بصيغة الصفة المشبه "جميل"(24)، قال تعالى: [وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ][5–6: النحل].

وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً مقاربة في معناها لمعنى الجمال متضمنة له مثل: "الزينة" كما في قوله تعالى: [إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ][6: الصافات]، وقوله: [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا] [7: الكهف]، وكذلك كلمة "الحسن" كقوله تعالى: [الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ][7: السجدة]، وقوله: [وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ][3: التغابن].

ومثل ذلك "الزخرف" كقوله تعالى: [أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ][93: الإسراء]، و"البهجة" في قوله تعالى: [وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ][5: الحج].

فزينة الأرض كل ما يجعلها تبدو جميلة في عين الناظر إليها والشيء إذا كان (زينة) فلا بد أن يحدث السرور في النفس، وكذلك إذا كان بهيجاً، فإنه لا يعدم إثارة الغبطة والراحة، قال الراغب الأصفهاني: "البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه، قال Y: [حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ][60: النمل]، وقد بهج فهو بهيج قال:[وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ][7: ق]، وقد ابتهج بكذا أي سرّ به سروراً بان أثره على وجهه"(25).

وهكذا نجد مفهوم الزينة والحسن والبهجة، مما يتضمن معنى الجمال، وكلها مفاهيم تتصل بالنفس من الارتياح، ومما يضفي على الألوان جمالاً ذلك التناسق والانسجام والتناظر في ألوان الطبيعة من حولنا نراه في السماء وفي الغيوم وفي الأشجار والزهور والحيوانات. ولو تصورنا أن كل ذلك من حولنا بلا ألوان فكيف ستكون الحياة؟ فمن الطبيعي أنه إذا فكرنا أن العالم بلا ألوان سيبدو أسود وأبيض وبعض الظلال الرمادية، ولكن الأسود والأبيض والرمادي هي أيضاً ألوان. إذاً فمن الصعب تخيل غياب اللون(26). ولو استطعنا أن نتقبل ذلك فسوف تختلط علينا أمور كثيرة وتكون الحياة مملة كئيبة، فالطبيعة جميلة بألوانها وإلا لفقدت سمة الجمال.

ولهذا كانت قضية الألوان من القضايا التي وضعت نظرية التطور في مأزق بسبب هذا الإبداع والتنوع في الألوان والانسجام في الطبيعة حيث إن دارون(DARWIN) مؤسس النظرية اضطر للاعتراف بالحالة التي يواجهها بسبب الإبداع الواضح في الكائنات الحية فقال:"الصعوبة التي أواجهها تكمن في تعليل لماذا تكون سرفات الفراشات ملونة بألوان جميلة جداً وبديعة في حين أن الكثير من الحشرات ملونة بألوان تحميها من الخطر؟ ومن الصعب أن أعزو هذا اللون الساطع إلى شروط فيزيائية، وإذا سأله أحدهم لماذا لا تتلون ذكور الفراشات بألوان جميلة كما هو حال صغار السرفات؟ لا أستطيع الإجابة، ولكن يجب أن أحافظ على الأرضية التي وقفت عليها!" (27).

وبالجملة فإن كل ذلك يقودنا إلى التأمل والتفكر في الخالق المبدع، ولما كان ذلك الجمال الملون يدرك بحاسة البصر فقد جعل القرآن الكريم أبصار الكفار معطلة؛ لأنها لا تحقق الغرض المؤدي إلى الاعتراف بالخالق [صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ][18: البقرة]، [وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا][178: الأعراف]، مع أن تلك العيون موجودة ولكنها لا ترى الحق فهي بحكم عدم الوجود.

ثالثاً: الألوان بين العلم والقرآن.

أصبح موضوع الألوان علماً قامت حوله دراسات شتى ذات علاقة وارتباط بعلوم أخرى:

ففي مجال العلوم الطبيعية تدرس الألوان في مجال علم الفيزياء الذي يقدم لنا تفسيراً عنها، فاللون مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالضوء، ففهمه إذاً مرتبط بفهم ضوء الشمس خاصة، وبعد تجارب علمية توصلوا إلى تحليل ضوء الشمس بما يسمى بألوان الطيف الشمسي السبعة "الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق (الكحلي)، البنفسجي" من خلال منشور زجاجي.

نحن لا نستطيع إدراك الأشياء الملونة إلا بواسطة الضوء الواقع عليها والذي ينعكس جزء منه إلى عيوننا، لذلك فأي شيء ملون إذا ما سلط عليه ضوء قوي فإنه يعكس إشعاعاً أكثر و من ثمَّ يظهر أكثر نصوعاً أما إذا وقع هذا الشيء الملون تحت ضوء خافت فإنه يعكس قليلاً ويظهر غير واضح.

وخلاصة الألوان التي نراها في الأجسام أن لون الجسم يتوقف على لون الضوء الذي يعكسه أو يمتصه، فالأحمر مثلاً امتص كل الألوان وعكس الأحمر، وسر ذلك هو تركيب الجسم الكيمياوي الذي يؤهله لامتصاص شيء ، وردّ آخر لم يمتصه من أشعة، فهو يعكسها إلى عين الناظر(28).

وفي مجال الدراسات الفلسفية والنفسية ، فقد عني العلماء بإيحاءات اللون ورموزه وإشاراته، فلكل لون فلسفته التي تختلف من مجال إلى مجال.. فالألوان في الملابس غيرها في الحوائط وغيرها في السماء... الخ، وأكثر العلوم التصاقاً بالألوان ودراسة له هو علم النفس لما للألوان من ارتباط به. يقول أحد كبار علماء علم النفس: "ليس في طبيعة إحساسنا عامل ما يتيح لنا القوة أعظم أو أكثر تنوعاً مما يتيحه الإحساس بالألوان(29).

تمكّن علماء نفس مختصون من تحديد العلاقة بين اللون المفضل لدى الشخص الذي يعكس شخصيته ويفصح عن ميوله وصفاته ومزاجه والروح المسيطرة عليه وبين حالته الصحية . وأوضح هؤلاء أن الألوان المحيطة بالإنسان تؤثر بصورة مباشرة على نفسيته وسرعان ما يتحول هذا التأثير إلى تأثير عضوي يجعل الجسم قابلا للإصابة ببعض الأمراض التي تُعرف بأمراض النفس جسديّة أي الأمراض المتسللة إلى الجسد من باب النفس.

كثيراً ما نقرأ عن ارتباط اللون بالشخصية وكثيراً ما نسمع أن الألوان التي نفضلها تعكس نوع شخصياتنا، كأن للألوان قانوناً خاصاً وعالماً منفرداً يعبر عن شخصياتنا وينعكس عليها، فالألوان ترتبط بعناصر ومكونات الحياة الأساسية فالأحمر يرتبط بالنار، والأصفر بالهواء، والأزرق بالماء والأخضر بالأرض.

ويقسم العلماء الألوان إلى قسمين دافئة وباردة: فالأزرق والأخضر من الألوان الباردة ودلالات ذلك المحيطات وظلال الأشجار والشفاه التي تنقلب زرقاء عندما تبرد، أما الأحمر والبرتقالي فهما من الألوان الدافئة، وتسمى بالموجبة والسالبة(30).

ويقول علماء النفس كذلك: "إن تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور ، وقد أجريت تجارب متعددة اتصلت عشرات الأعوام على ما للألوان من تأثير في الإنسان، وسواء أدركنا أم لم ندرك، فإن اللون يؤثر في إقدامنا أو إحجامنا، ويشعرنا بالحرارة أو البرد، أو بالسرور أو الكآبة، بل يؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته إلى الحياة"(31).

ودلت التجارب التي أجراها علماء النفس على أن تأثير الألوان يصل إلى أعماق الإنسان وأصبحت المستشفيات تستدعي المتخصصين لاقتراح الألوان التي تلائم جدران غرفها لتساعد في شفاء المرضى. فمثلاً اتضح بالتجربة "أن الألوان الدافئة والأضواء الصارخة تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم"(32).

وتأثرت مدارس النقد الأدبي بعلم النفس حيث تقوم المدرسة الرومانسية (الإبداعية) على أساس من التشبيه النفسي.. بينما تقوم المدرسة الكلاسيكية (الاتباعية) على أساس من التشبيه الحسي(33). ونبه بعض الدارسين على اهتمام الشاعر بالألوان في صوره الشعرية، كبشر بن

أبي خازم(34) الأسدي الذي استمد كافة صوره من اللون الأبيض، "كصورة الديار والمرأة والظبية وثور الوحش والناقة والسيف(35)".

ويتفق العلم مع القرآن الكريم في أن وظيفة اللون الأولى تكمن في توصيف المشهد، وله إيحاء في المعنى وتأثير بالتشويق أو التنفير، كما أنه ينبه الحواس ويثير التذوق بالجمال.

وتلتقي هذه الدراسات السابقة مع استعمال القرآن للألوان الذي أكد اختلاف الألوان في كل شيء في البشر والدواب والزروع والثمار والجبال، فهي ليست ظاهرة بشرية وإنما ظاهرة كونية عامة كما قال تعالى:[وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ][13: النحل]، ولو تصورنا أن الكون خلق على لون واحد لكان شيئاً مملاً غير محتمل، ولكن الله أراد الخير للإنسان فلوّن له الحياة أرضها وسماءها، وزينها لتكون محببة مؤنسة له فيتمتع البصر بما يرى من خلق الله[إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا][7: الكهف].

ويتبين لنا من الناحية العلمية ما للألوان من تأثير على النفس الإنسانية مما يجعلنا نفسر اختلاف الألوان في الآيات مقصوداً منه الجمال الذي يؤثر في النفس كما يقول صاحب الظلال: "إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون"(36).

وتمتلئ اللغة العربية بتعبيرات وكتابات تستخدم اللون فيها ... فمثلا نقول فلان ضحكته صفراء ... ونقول فلان يتطاير الشرر الأحمر من عينيه ... وهذا لأن وجهه يحتقن بالدم ويبدو أحمر ... واللون الأحمر يعني الفعل القوي ... فإذا خف ونقص تأثيره أصبح وردياً دلالة على الحياة السعيدة النشطة اللطيفة، فيقال "حياة وردية" يعني السعادة ... أما الأسود فيعني انعدام اللون والضوء ويرمز للحزن والموت.

وقد توصل العلماء مؤخراً إلى تقنية جديدة وهي العلاج بالألوان؛ لأن جسم الإنسان يحتاج إلى ألوان معينة دون سواها لتحسين أدائه الذهني والجسدي... وأشار الباحثون إلى أن ألوان الطيف تؤثر على الإنسان، ويعتقد أن أول أربعة منها هي أكثر الألوان المنشطة، بينما تكون الأربعة الأخيرة الأكثر هدوءاً وراحة(37).

مزج الله Y جسم الإنسان بعناصر وموجات كهربية وإشعاعات تتجانس مع الأشعة الكونية والموجات الكهرومغناطيسية والذبذبات اللونية ولكل شخص إشعاعات خاصة تختلف في طول الموجة والتردد وعدد الذبذبات عن غيره تماماً كالبصمات، وكل إنسان يرسل حوله إشعاعات خاصة به ويستقبل من الآخرين إشعاعات أخرى، فإذا كانت متقاربة نتج عن ذلك تفاهم ومحبة قوية وإذا كانت متنافرة نتج عنها العكس وقد يكون هذا تفسيرا لحديث رسول الله ε: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف"(38).

وللألوان تأثير على مزاجنا وتفكيرنا وسلوكياتنا فاللون عبارة عن طاقة مشعة لها طول موجي معين تقوم المستقبلات الضوئية في شبكية العين بترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكية على ثلاثة ألوان هي الأخضر والأحمر والأزرق وبقية الألوان تتكون من مزج هذه الألوان الثلاثة، وعندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية والجسم الصنوبري في الدماغ مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية و من ثمَّ السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكنا(39).

كما أن تأكيد القرآن أهمية الضوء والشمس في مجرى الحياة بكاملها مما يتفق مع العلم ؛ لأن الضوء هو أصل الألوان، والألوان هي بحد ذاتها مرتبطة بحياة الإنسان "إن الله Y حبا الأرض بطبيعة أنتجت من الألوان ما عجز جرم سماوي آخر من مخلوقاته كالقمر أن ينتجه... إن القمر لا حياة فيه، فامتنعت عليه ألوان لا ينتجها إلا النبت، ولا ما يعيش على النبت من أحياء"(40).

وقد بيّن القرآن العلاقة بين الليل والنهار (الأسود والأبيض) في قوله: [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ][71: القصص]، فقد هيأ الله أسباب المعيشة في الضياء، [مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ] أي بنور تطلبون فيه المعيشة، والضياء هذا هو الألوان بعينها، الأبيض والأسود، فلو مضى اللون الأسود من حياة الناس وانعدم، وصارت حياتهم نهاراً دائماً أفلا يكون في هذا نصب وعناء وشدّة!

فالنهار بما فيه من ألوان وأضواء، وشمس تصنع من الأبيض مئات الألوان تبعث في النفس السكينة سعياً ونشاطاً.

وسوف نرى عندما نعرض لكل لون على حدة كيف أن لكل لون في القرآن دلالات ووظائف، قد تتفق مع العلم من الناحية الفيزلوجية والنفسية.

المبحث الثاني: دلالات الألوان في القرآن الكريم

اختيار الألوان في القرآن الكريم ظاهرة من مظاهر الإعجاز والتصوير الفني والجمالي التي التفت إليها بعض من ألفوا في إعجاز القرآن البلاغي والتعبيري والوصفي(41). ومن المؤكد أن استخدام اللون في القرآن جاء ليضيف حلية لفظية متناسقة في النص تؤدي وظيفة معينة، إلى جانب الوظائف الأخرى.

ويتفق العلم مع القرآن في أن وظيفة الألوان الجمالية والتزينية تكمن في تشخيص الصورة وتوضيحها والغوص في أعماق النفس والتأثير به سلباً وإيجاباً، فتتضح الحكمة في اختيار لون بعينه في القرآن وذلك أن القرآن خاطب نفسية الإنسان التي يعرفها بما تحب وتكره [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ][14: الملك]، فنراه إذا تحدث عن العذاب ذكر لوناً يكرهه الإنسان في ذلك المجال [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا][102: طه]، وإذا حدث الإنسان فيما يحب ذكر اللون الأخضر، كما تكرر وصف الجنة وملابسها وفرشها باللون الأخضر كما سيأتي التمثيل في موضعه.

والمتأمل للقرآن الكريم في حديثه عن الآيات الكونية، وما فيها من ألوان يراه حديث العلم والمعرفة واكتشاف الآفاق، وهو يريدنا أن تكون نفوسنا مرهفة الإحساس بالكون لا يفوتنا مما يدور حولنا من روعة الخالق، ثم يعد نفوسنا وعواطفنا لتلقي رسائل الكون، ثم بعد ذلك يعدنا إعداداً علمياً وتأملياً، والعلم والعاطفة يكتملان في سيرهما نحو غاية فهم الكون وأسراره، ففي القرآن دعوة للقلب والعقل، لتحقيق المثالية الواقعية، فلا تكون نظرتنا إلى الكون بلهاء ساذجة بل متأملة في آلاء الله، وما فيها من ألوان وفنون.

إن انتقاء الألوان في القرآن يكمل صورة الإعجاز البياني وربما يضيف إليها إعجازاً علمياً يقود إلى الاستدلال بالخالق. لقد ذكر القرآن الكريم ستة ألوان: الأبيض، والأسود، والأخضر، والأصفر، والأحمر، والأزرق، بالإضافة إلى ألفاظ فيها معنى اللون أو ما يسمى بالألوان البينية مثل: "أحوى" و"مدهامتان" و"وردة كالدهان"، واللافت للنظر أنها جاءت في سياقين: مشاهد الدنيا وعالم الآخرة.

أولاً: اللون الأبيض.

ورد ذكر اللون الأبيض في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، بعضها على المعنى الحقيقي، وبعضها على المعنى المجازي، وهو بذلك أكثر الألوان وروداً في القرآن؛ لأنه يشير إلى النقاء، والوضوح والصفاء والاطمئنان، وهو محبب إلى النفس بطبيعته، ولذلك توصف به الأمور الواضحة الناصعة ومن ذلك وصف وجوه المؤمنين به يوم القيامة كما سيأتي.

ومن الناحية العلمية، فاللون الأبيض هو أصل الألوان، بل هو كل الألوان مجتمعة(42)، فلا غرابة إذن أن يرمز إلى ضوء النهار بالبياض والضياء والنور

الذي يرى من خلاله كل الألوان. وجاء ذكر اللون الأبيض في القرآن الكريم في محورين:

المحور الأول: في عالم الحياة الدنيا.

ورد في الموضوعات الآتية:

1- ورد اللون الأبيض خمس مرات في سياق الحديث عن معجزة موسى عليه السلام وهي: "بياض يده" في الآيات الآتية: قال تعالى: [وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ][108: الأعراف]، وقال تعالى: [وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى][22: طه]، وقال تعالى: [وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ][33: الشعراء]، وقال تعالى: [وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ][12: النمل]، وقال تعالى:[اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ][32: القصص].

والآيات الخمس يفسر بعضها بعضاً، و بخاصةٌ أنها في قضية واحدة وتدل على حقيقة واحدة ومعنى مشترك.

هذه المعجزة التي وهبها الله لموسى وهي "بياض يده" واحدة من تسع معجزات أعطيت له، وجاء التعقيب في وصف البياض [مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] ثلاث مرات، وفي الآيتين الأخريين جاء التعقيب بقوله: [لِلنَّاظِرِينَ]، ولا شك أن نفي العيب في بياض اليد مما يتبادر إلى الذهن في صفة "البرص" أعظم من إدخال السرور في النفس لتوهج البياض وتألقه.

وقد بينت الآيات أن بياض يد موسى كان آية أخرى إضافة إلى العصا؛ وذلك لأنها تختلف عن لون بشرته، يقول الزمخشري تعليقاً على قوله تعالى: [مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] السوء: الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص... والبرص أبغض شيء للعرب وبهم عنه نفرة عظيمة وفي أسماعهم لاسمه مجاجة، فكان جديراً بأن يكني عنه... يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته، بيضاء لها شعاع الشمس يعشي البصر" (43).

ونقل القرطبي عن ابن عباس قوله: "كان ليده نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض"، ثم قال: "وقيل كانت تخرج يده بيضاء كالثلج تلوح، فإذا ردها عادت إلى مثل سائر بدنه"(44).

ومجمل الآيات يدل فيها لون بياض اليد على النقاء والطهر ووضوح الحقيقة للنبي المرسل.

2- جاء اللون الأبيض مرتين في القرآن الكريم في وصف ظاهرة طبيعية.

أ - قال تعالى:[وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ][187: البقرة] . والخيط الأبيض هنا مقدمات النهار وقرب ظهور الشمس، والأسود علامة الليل (45)، والأبيض هنا كناية عن النور أي: "حتى ينتشر النور في الأفق وعلى قمم الجبال، وليس ظهور الخيط الأبيض في السماء وهو ما يسمى بالفجر الكاذب"(46).

وجاء التعبير عن بياض النهار بالنور في آيات كثيرة، كما بينت آيات أن النور مصدره الشمس كما قال تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا]؛ وذلك لأن الشمس هي مصدر النور فسماه ضياء والقمر يعكس ذلك الضياء معبراً عنه بالنور.

ب- وجاء وصفاً وتمييزاً لأحد ألوان الجبال:[وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ] [27: فاطر]، وذلك في سياق تأكيد كون الألوان ملازماً للطبيعة في كل مجالاتها من بشر وأحياء وجمادات ومنها الجبال.

وقد عدّ علماء الجيولوجيا هذه الآية من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فقد صنف علماء الجيولوجيا الجبال- تبعاً لصخورها الغالبة على تركيبها- إلى ثلاثة أقسام كما هي في القرآن الكريم.

والجدد في كتب اللغة لها تعريفات نظراً لتعدد معانيها ففي مفرادت الراغب: جمع جدة أي طريقة ظاهرة من قولهم طريق مجدود أي مسلوك مقطوع، ومنه جادة الطريق (47)، وفي لسان العرب: والجدة:

الطريقة في السماء والجبل، وقيل: الجدة الطريقة، والجمع جدد وقوله Y:"جدد بيض وحمر" أي: طرائق تخالف لون الجبل..قال الفراء: الجدد الخطط والطرق، تكون في الجبال خطط بيض وسود وحمر كالطرق، واحدها جدة"

وإذا كان جمهور المفسرين قد ذهبوا إلى أن "جُدَدُ" هي الخطط والطرق أو الطرائق، فإن معناها العلمي: "الطبقات" وهذه إحدى خصائص الجبال الرسوبية، إذ هي جبال تكونت بترسيب طبقات بعضها فوق بعضها على مر الزمان، وهي "بِيضٌ"؛ لأن اللون الغالب عليها هو الأبيض، فالجبال الرسوبية إن لم تكن بيضاء فإن لونها يتحول إلى الأبيض بمرور الزمن، ويذكر المتخصصون من صخور هذه الجبال أنواعاً يغلب عليها اللون الأبيض مع وجود بعض الشوائب(48).

وقرأ الجمهور "جُدَدٌ"بضم الجيم وفتح الدال، جمع جدة، قال ابن بحر: قطع، من قولك: جددت الشيء قطعته، وقرأ الزهري كقراءة الجمهور.. . وعنه أيضاً بضم الجيم والدال جمع جديد وجدائد،.. وعنه أيضاً: بفتح الجيم والدال ولم يجزه أبو حاتم في المعنى ولا صححه أثراً(49). وأشار الزمخشري لذلك فقال: وقرأ الزهري جدد بالضم: جمع جديدة وهي الجدة... وروي عنه بفتحتين وهو الطريق المسفر الواضح وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها عن بعض(50).

وقد ذكر العلماء ما يناسب تفسير "جُدَدٌ" بالمتجددة حيث ذكروا أن هناك عمليات جيولوجية خارجية تحدد ألوان الصخور(51)، وهناك من العلماء المعاصرين من يؤيد قول الفرّاء الذي نقله الشوكانيأن الجدد هي العروق في الجبال، أي ما يسمى الآن "القواطع "Dykes" ومنهم من يرى أن الجدد: هي الطبقات الأفقية المكونة لطائفة كبيرة من الجبال المسماة بالرسوبية. يكون أغلبها أبيض وهو الحجر الجيري واسع الانتشار ولذا ذكر أولاً(52).

ج- ويأتي اللون الأبيض في موضع آخر وصفاً لحالة مرضية وهي: "بياض العين من الحزن في قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام :[وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ][84: يوسف].

ففي هذه الآية جاء اللون الأبيض على غير معناه المتداول للبهجة والنعمة والبشرى، بل لصورة حزينة، فبياض العين إذا طغى على سوادها كان إمارة حزن وأسى.

ومن الناحية العلمية "أن البياض المصحوب بضياع البصر غالباً معناه الزَّرق؛ لأن القرنية الطبيعية شفافة لا لون لها، وعندما تصاب بالزرق تصبح غيمة بيضاء، وقد أثبت العلم أن من أهم أسباب الزَّرق التغيرات في الأوعية الشعرية في العين نتيجة لأسباب كثيرة من أهمها: الانفعالات العصبية النفسية ولا سيما بسبب الحزن الشديد(53).

المحور الثاني: في عالم الآخرة (الجنة).

ورد اللون الأبيض في وصف أهل الجنة ونعيمها في ثلاثة مواضع:

1- قال تعالى: [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][106-107: آل عمران].

ووصفت وجوه المؤمنين بهذا اللون يوم القيامة وبالمقابل وصفت وجوه الكفار بالسواد، والتضاد في الألوان يبرز أمام الناظرين ليحكم على مكانة أصحاب كل لون عند ربهم.

وبياض الوجوه وسوادها رمز للحق والباطل، وللنور والظلمة،وللنعيم والعذاب، يقول سيد قطب رحمه الله: "وهذه وجوه قد أشرقت بالنور، وفاضت بالبشر فابيضت من البشر والبشاشة، وهذه وجوه خمدت من الحزن واغبرت من الغم واسودت من الكآبة(54)".

2- قال تعالى في وصف كؤوس الجنة: [يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ][45-46: الصافات]، قيل بيضاء هنا صفة للكأس، وقيل للخمر حيث أن خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن، ذات لذة لا تذهب عقولهم ولا يصيبهم منها مرض :[لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ][47: الصافات].

وربما الوصف للاثنين فالكأس بيضاء ولون شرابها كذلك، والبياض لون الفضة، جاء في تفسير ابن كثير أنها وصف للخمر فقال: "أي الخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها، قال زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي لونها مشرق حسن بهي، لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم"(55).

أما الزمخشري فيقول: "ويقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها الكأس، ونقل عن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر.. من معين : من شراب معين أو من نهر معين"(56).

3- وجاء اللون الأبيض في الآية الآتية وصفاً للحور العين في الجنة قال تعالى: [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ][48-49: الصافات].

جاءت الآية في وصف جمال نساء أهل الجنة وحسنهن، وبياض ألوانهن وشبههن -مع الفارق- بلون البيض النقي المكنون الذي لم يتغير لونه، وهو أحب ألوان النساء إلى الرجال، إضافة إلى ما يوحي من النقاء والطهر والصلاح، لذلك جعله الله صفة لنساء المؤمنين في جنات النعيم.

يقول ابن كثير: "وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان، قال ابن عباس: الأبيض المكنون: اللؤلؤ المكنون... وقال سعيد بن جبير: يعني بطن البيض وقال السدي: بياض البيض حين ينزع قشره، واختاره ابن جرير لقوله "مكنون" أي مصون لم تمسه الأيدي(57).

وقال الزمخشري: "شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبه تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور"(58).

وبالجملة، يتضح من عرض اللون الأبيض في القرآن أن دلالته في التعبير القرآني هو رمز لانتصار الخير على الشر كما يرمز للنور والضياء والصفاء.

ثانياً: اللون الأسود.

ورد ذكر اللون الأسود في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وغالباً ما يأتي ذكره مقابلاً للّون الأبيض ومغايراً له في المعنى.

ومن الناحية العلمية فإن تعريف اللون الأسود: هو لا لون إن صح التعبير، أو هو امتصاص كل ألوان الطيف، أو هو غيبة كل الألوان، فالألوان القاتمة وعلى رأسها الأسود تمتص الضوء والحرارة، والضوء ما هو إلا ألوان(59).

وبهذا يكون المعنى العلمي كذلك معاكسة اللون الأسود للأبيض حيث الأسود هو امتصاص كل الألوان، والأبيض هو انعكاس كل الألوان وبهذا يعبر بهما عن الخير والشر، والإيجاب والسلب، والليل والنهار.

أما دلالة اللون الأسود في القرآن فقد وردت في محورين:

أ- جاء وصفاً لظواهر طبيعية في آيتين سبق ذكرهما عند الكلام عن اللون الأبيض ويلاحظ هنا كذلك أنهما يذكران معاً كضدين وهما:

1 -قوله تعالى:[وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ][187: البقرة]، فقد كانت مهمة اللون الوظيفية هنا علامة للّيل الذي ينسلخ منه ضوء النهار، كما قال تعالى:[وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ][37: يس].

وقد فسر الرسول ε الخيط الأبيض والأسود فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"(60)، فالأسود هنا دلالة على جنح الليل وظلامه كما قال ابن

كثير:"يتبين ضياء الصباح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللبس بقوله [مِنَ الْفَجْرِ](61)، وقد مرّ ذكر طرف من ذلك عند الكلام عن اللون الأبيض.

2 -قوله تعالى في تصنيف ألوان الجبال: [.. وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ] [27: فاطر]، والشاهد هنا "وَغَرَابِيبُ سُودٌ"، فالغرابيب: مفرده غربيب، الشديد السواد. وفي القاموس: أسود غربيب: حالك، وأما غرابيب سود فالسواد بدل لأن توكيد الألوان لا يتقدم" وهذا ما عليه أكثر أهل اللغة والمفسرين(62)، ويرى البعض أن الإضافة هنا للتأكيد كما يقال: أحمر قان، وأسود فاحم.

وجاء في حديث رسول الله ε: "إن الله يبغض الشيخ الغربيب(63)، أي الذي يخضب بالسواد، وفي تأكيد "غَرَابِيبُ" لمعنى السواد يقول الزمخشري: ".. معطوف على جدد، كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب، وعن عكرمة τ: هي الجبال الطوال السود، فإن قلت الغربيب تأكيد للأسود، يقال أسود غربيب أو حلكوك وهو الذي بعد في السواد وأغرب فيه.. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: أصفر فاقع.. وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد(64).

وإذا كان الغرض من ذكر الألوان هنا التدبر وأخذ العبرة ففي البحث عن أسرار هذه الألوان ووظيفتها نجد الكلام في علم الطبيعة عن الجبال والسر وراء اختلاف ألوانها الكثير من كلام العلماء مما يتطابق مع وصف القرآن لها.

وقد صنف علماء الجيولوجيا الجبال تبعاً لصخورها الغالبة على تركيبها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: جبال رسوبية طبقية وهي المشار إليها بـــ [جُدَدٌ بِيضٌ]، وجبال قاعدية متبلورة متحولة وهي:" [حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا]، وجبال بركانية غير متحولة نارية وهي "[غَرَابِيبُ سُودٌ].

والجبال النارية (البركانية) غير المتبلورة، يشيع اللون الأسود الغربيب عليها، وهي أكثر الصخور القاعدية انتشاراً، وتشكل حجم الهضاب وكذلك الجبال البركانية النارية التي غالباً ما تكون على شكل مخاريط، والجبال النارية ليس لها سوى اللون الأسود(65).

والراجح أن كلمة غرابيب تقابل كلمة جدد، وبيض تقابل سود "أن" الجدد "تعبر عن شكل و"البيض" تعبّر عن لون، فكذلك الأسود لون ولابد إذن أن تكون "الغرابيب" شكلاً لا لونا ، وهذا ما يترجح في التفسير العلمي الحديث، أي فمن الجبال طرق أو قطع بيض وحمر، ومنها ما هو لون واحد أسود غرابيب: ف هو الذي له شكل الغراب وهو البروز أو النتوء، وهو الذي نرى أنه شكل ذلك النوع من الجبال التي لها قمة أو أكثر تبدو كل منها كالنتوء التي إن تعددت يبدو لهذا الجبل شكل التجاعيد التي تبدو كمجاري السيول. والعجيب أن من معاني كلمة "غروب" مجاري الدمع. والغرب هو الماء الذي يسيل من الدلو، ويؤيده تفسير عكرمة: أن الغرابيب هي الجبال الطوال السود(66).

ب- جاء ذكر الأسود رمزاً للحزن والكآبة في مقابل الأبيض رمزاً للسرور والخير في محورين:

المحور الأول: في عالم الحياة الدنيا.

جاء وصفٌ لأحوال النفس الظاهرة في آيتين في موضوع واحد: أولهما قوله تعالى: [وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ][58: النحل].

ومعنى (مسوداً) أي كئيب من الهم، ومعنى (كَظِيم) أي: ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن والضيق فيكره أن يراه الناس، يكظم غيظه كأنه بلية (67)، والآخر قوله تعالى: [وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] [17: الزخرف].

وهذه الآية تؤكد ما قبلها بمعنى:"ومن حالهم- أي عرب الجاهلية- أن أحدهم إذا قيل له: "قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من

الكرب"(68)، وفي الآيتين وصف لجهالات العرب قبل الإسلام إذ كانوا يفضلون البنين على البنات لأسباب معروفة فكانوا يحزنون لولادة الأنثى وربما يصل الأمر إلى وأدها. كما أخبر تعالى عنهم: [وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ][8-9: التكوير].

وسواد الوجه هنا دلالة معبرة عن الأسف والحزن والغضب الذي يخالج النفوس المريضة فهو دلالة رمزية واستعمال مجازي لما وصلت إليه حال المبشر بالأنثى بحيث يتوارى عن القوم ويتحير في أمر المولودة كما وصفت الآية التالية: [...أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] [59: النحل]، وفي الجاهلية الحديثة نجد هذا السلوك لدى صنف من المسلمين في استقبال المولودة، فإذا كان لعرب الجاهلية أسبابهم المعروفة، فما بال هؤلاء وهم يزعمون أنهم في عصر الحضارة والتقدم ممن يدعون أنهم من الملتزمين بتعاليم الإسلام!

المحور الثاني: في عالم الآخرة (الجنة والنار).

جاء اللون في آيتين وصفاً لوجوه الكفار أهل النار يوم القيامة وهما:

الأولى: قوله تعالى: [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ][106: آل عمران]. فبعد أن ذكر الله بياض وجوه المؤمنين دلالة للفلاح ودخول الجنة ذكر ما يناقضه وهو سواد وجوه كفار أهل النار، فالتضاد في الألوان بين وجوه المؤمنين والكفار يبرز الصورة أمام الناظرين، فاللون مقياس يحكم به على مكانة أصحاب كل لون عند ربهم، فالبياض والسواد دلالة معبرة عن إشراقة وجوه المؤمنين وكآبة وجوه الكفار.

الأخرى: قوله تعالى في المعنى ذاته: [وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ][60: الزمر]، وهذا أحد مشاهد يوم القيامة وسواد الوجوه في ساحة الحشر دليل الحزن والكآبة، ويزدادون سواداً حين تلفح وجوههم النار، يقول المرحوم سيد قطب: "هذا هو المصير الأخير، فريق مسود الوجوه من الخزي ومن الكمد، ومن لفح الجحيم، هو فريق المتكبرين في هذه الأرض الذين دعوا إلى الله وظلت الدعوة قائمة حتى بعد الإسراف في المعصية فلم يلبوا هاتف النجاة فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه"(69).

ومما سبق نرى أن دلالة هذا اللون على العموم هو لون الحزن والعبوس والكآبة والخيبة والتعاسة والمصير المعتم (70)، ولكن ألا ترى في سواد الليل نعمة وهي راحة الإنسان وسكونه! [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً][10-11: النبأ].

ثالثاً: اللون الأخضر.

ورد ذكر اللون الأخضر في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، ومن المعروف أن اللون الأخضر أكثر الألوان راحة للنفس والعين وهو رمز الحياة، ووجود هذا اللون في مكان –طبيعي- دليل على وجود الحياة في ذلك المكان؛ لأنه تبع لوجود الماء، ومن الماء جعل الله كل شيء حي(71).

فالأخضر أساس الحياة وإن لم يكن من الألوان الأساسية، بل من أهم ألوان الطيف السبعة (72)، وجاء ذكر "الأخضر" في القرآن الكريم في محورين أيضاً:

المحور الأول: في عالم الحياة الدنيا.

فاللون الأخضر هو الغالب في النبات والشجر، يضفي عليه طابع الحياة والنضارة، ومن المعروف علمياً علاقة هذا اللون بضوء الشمس في تكوين غذاء النبات ومن ثم غذاء الإنسان والحيوان.

وعلاوة على جماله حيث يهب النفوس بهجة وراحة، فهو من الناحية العلمية كذلك يساعد على تعادل الغازات في الجو، وهو بذلك آلة التوازن في الطبيعة ومن ثم شاء الله أن يحبب هذا اللون للناظرين

ليكثروا منه في الزروع والميادين حولهم، وجاءت الآيات الآتية في هذا المجال:

1- قال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا][99: الأنعام]، فالضمير في "منه" يعود على النبات، أي يخرج الله من النبات هذه المادة "خضراً" وهي بدورها يخرج منها الحب المتراكم، وكل نبت يبدأ أخضر، واللفظ "خضر" أرق ظلاً وأعمق إلفة من لفظ "أخضر" وهذا النبت الخضر يخرج منه حباً متراكماً كالسنابل وأمثالها" (73)، وقريب من ذلك قول ابن كثير: "زرعاً وشجراً أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر"(74).

2- وقال تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ][63: الحج].

جاءت الآية في سياق التنبيه على قدرة الله "وأنه يرسل الرياح فتثير سحاباً فيمطر على الأرض الجرز، التي لا نبات فيها وهي هامدة يابسة سوداء ممحلة، فتصبح الأرض خضراء بعد يبسها ومحولها" (75)، وقوله تعالى: مخضرة: أي ذات خضر، وجاءت بهذا التصريف: وهي إمارة أثر المطر زماناً بعد زمان(76).

والآية مثل التي قبلها تؤكد أهمية الماء للإنبات، وفي وجود الأرض الخضرة دليل على وفرة الماء، أنهاراً وأمطاراً ، ودليل نعمة متواصلة، وفي اخضرار الأرض حياة لأصحابها يتمتعون بها هم وأنعامهم.

3- وقال تعالى: [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ][80: يس].

هذه من الآيات الدالة على معجزة الله في أن يجعل من الشيء نقيضه. من الشجر الأخضر ناراً، واتفق المفسرون على هذا المعنى، يقول الزمخشري: أي "من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار للماء وانطفائه به" (77) ويقول صاحب الظلال: "أي هذا الشجر الأخضر الريان بالماء... ثم يصير هو وقود النار"(78).

وفي هذه الآية يستدل القرآن بأحوال النبات على البعث، فيجعل من هذه المحسوسات بينات شاخصة للعيان، وتقرب هذه الحقيقة التي أراد إثباتها والتدليل عليها، وهي أن الناس سيبعثون وأنهم سيحاسبون على ما يقترفون(79).

فالإنسان يرى هذه الظاهرة التي تستدعي التفكير، وهي إذن إشارة يفهم منها ما سيؤول إليه حال الكافر يوم القيامة: من أنه سيكون وقود النار كما قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ][6: التحريم].

4- للدلالة على الحياة الرغيدة:

جاء اللون الأخضر مرتين في وصف السنبلات في رؤيا يوسف عليه السلام رمزاً وعلامة على السنين المخصبة... قال تعالى: [وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ][43: يوسف]، فالسنبلات الخضر هنا تعبير مجازي وكناية عن السنوات السبع التي يزداد فيها الخير، في مقابل السبع العجاف والتي يرمز لهن "بالسنبلات اليابسات" التي يقل فيها الخير بل ينعدم فاللون هنا رمز للخير وعلامة له.

ويؤكد ذلك تفسير هذه الرؤيا في الآية الأخرى من نفس السورة حيث طلب من يوسف عليه السلام تأويلها [يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ][46: يوسف]، ففسر يوسف عليه السلام السنبلات السبع بسنين الخير التي يزرعون فيها ويدخرون منها للسبع الشداد، سنوات الجفاف والجدب التي تليها. كما تبينه الآيات [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ

يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ] [47-48: يوسف].

المحور الثاني: في عالم الحياة الآخرة (الجنة).

فقد جاء ذكر اللون الأخضر في معرض وصف الجنة في ثلاث آيات:

1- قال تعالى في وصف لباس أهل الجنة: [أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا][31: الكهف].

وصفت الآية نعيم أهل الجنة ومن ذلك النعيم الملابس، وصفها القرآن أنها من الديباج الحرير ذو اللون الأخضر، وما خصه الله بذلك إلا لعلمه أنه من أحب الألوان للنفس مع موافقته وراحته للبصر، يقول ابن كثير في تفسير معنى السندس والإستبرق مع اتفاقهما باللون: "السندس ثياب رقاق كالقمصان وما جرى مجراها، وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق"(80)، وقال سيد قطب: "رافلون في ألوان الحرير من سندس ناعم خفيف، ومن إستبرق مخمل كثيف"(81).

2- وقال كذلك في وصف لباس المؤمنين: [وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا، عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا][20-21: الإنسان].

فهذه الآية تؤكد السابقة وهنا الملابس للوِلْدان المُخلَّدين ذوي الثياب الخضر، وهم شباب حسن لا يهرمون ولا يتغيرون... وفي تفسير "عَالِيَهُمْ" : "أي ما يعلوهم من ثيابهم، ثياب سندس"(82).

وجاءت الآية في سياق الكلام عن النعيم الذي يعيش فيه الأبرار المقربون عباد الله، فمن مظاهر النعيم، أنه يطوف عليهم ولدان مخلدون، بالأكواب والأباريق مع الحلل واللباس الأخضر البهيج من سندس وهو ما دق من الديباج، والإستبرق وهو ما غلظ من الديباج. فرؤية أهل الجنة ذوي الملابس الخضراء ومن يخدمهم كذلك بلباس بهيج يدل على أهمية هذا اللون في نفس الرائي بحيث اختص بالجنة دون سواه.

3- قال تعالى في فرش أهل الجنة: [مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ][76: الرحمن]. الرفرف: نوع من البسط أو الوسائد المريحة، وهي مع راحتها ذات لون أخضر، والعبقري: الشيء العجيب الحسن.

يقول الزمخشري: "الرفرف: ضرب من البسط، وقيل البسط وقيل الوسائد، وقيل: كل ثوب عريض رفرف، ويقال لأطراف البُسُط وفضول الفسطاط: رفراف، والعبقري: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب"(83).

ومن الآيات الثلاث يتبين لنا أن اللون الأخضر هو الغالب على الجنة، أشجارها، وملابس أهلها، وفرشها وبسطها، دلالة على الحياة الدائمة الرغيدة والنعيم، ولذلك يمتع الله به عباده المؤمنين في الجنة مقابل اللون الأحمر للنار-علامة العذاب- أعاذنا الله منها.

وقد ورد اللون الأخضر بمعناه في وصف أشجار الجنة بالدهمة في قوله تعالى: [وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، مُدْهَامَّتَانِ][62-64: الرحمن]، والآية تصف النعيم المقيم لأصحاب اليمين، بأنهم يرفلون بين الأشجار الشديدة الخضرة، ومدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة، قال ابن عباس:"قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء" وعنه: "خضراوان"(84).

وبذلك نرى أن دلالة اللون الأخضر ليست كأي الألوان، فالخضرة بمشيئة الله دليل على الحياة الدنيا وفيها سرها وهي دليل الخير والخصب، وهو أحب الألوان إلى البشر فهو الغالب في الحقول والحدائق، وكل إنسان يحب أن يرى مزيداً من الأرض الخضراء بدل الرمال والصحراء، ولذلك يكثر الناس منه في كل

مكان، في الريف والمدينة وبين المباني والقصور، ففيه راحة للبصر وجمال وحيوية ونقاء للجو.

كما يرمز به إلى الأمان والسلام، فالناس يرمزون بغصن الزيتون الدائم الخضرة إليه.

ويتفق العلم الحديث مع القرآن الكريم في أثر اللون الأخضر في النفس الإنسانية، فقد أثبت علم الطب النفسي العلاقة بينه وبين السعادة النفسية "ووصل العلماء إلى قرار قاطع بأن اللون الوحيد الذي يجلب السرور إلى داخل النفس والانتعاش في الفكر ويثير في الإنسان علامات البهجة وحب الحياة هو اللون الأخضر "، ومن أروع ما يدل على تأثير اللون الأخضر تلك التجربة التي أجرتها مدينة لندن (LONDON) على جسر (بلاك فراير BLACK-FRAIE) الذي يعرف بجسر الانتحار إذ تقع أغلب حالات الانتحار من فوقه، فغيرت لونه الأغبر القاتم إلى اللون الأخضر، فقلت حوادث الانتحار فوراً إلى الثلث، ولعلها قد انعدمت نهائياً الآن أو في طريقها إلى العدم(85).

إذن فخصوصية اللون الأخضر تكمن في تأثيره في الإنسان، ولهذا خلق الله النبات والأشجار بهذا اللون ووصف به الجنة كما رأينا لأنه علامة المتعة والبهجة والسرور :[أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ][14: الملك].

ومما سبق نرى أن فضل اللون الأخضر وشرفه يعود لأمرين:

الأمر الأول: هو أن الله سبحانه وتعالي وصف في كتابه العزيز أهل جنته المخصوصين بتقريبه ومزيته بلباس الثياب الخضر فقال تعالى في وصفهم:[عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ][21: الإنسان] وقال سبحانه في موضع آخر: [وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ][31: الكهف] فلو كان في الألوان أفضل من الخضرة لوصفهم الله سبحانه بذلك.

الأمر الثاني: في لون الخضرة من تقوية للنظر والزيادة في حاسة البصر، وسبب ذلك فيما يقوله أهل الطب أن اللون الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً رفيقاً مستلذا غير عنيف وإن كان اللون الأسود يجمع الباصر أيضاً لكنه يجمعه بعنف واستكراه على ضد ما يجمعه اللون الأخضر. يقول تعالى: [فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ][60: النمل](86).

يقول سيد قطب: "حدائق بهيجة ناضرة حية جميلة مفرحة... منظر الحدائق يبعث في القلب البهجة والنشاط والحيوية. وتأمل هذه البهجة والجمال الناضر والحي الذي يبعثها كفيل بإحياء القلوب، وتدبر آثار الإبداع في الحدائق كفيل بتمجيد الصانع الذي أبدع هذا الجمال العجيب.

وإن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون من البشر. وإن تموج الألوان وتداخل الخطوط وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث فضلاً عن معجزة الحياة النامية في الشجر وهى السر الأكبر الذي يعجز عن فهمه البشر"(87).

رابعاً: اللون الأصفر.

وهو أحد الألوان الأساسية الثلاثة (الأحمر، الأزرق، الأصفر) وهو وسط بين اللونين الأحمر والأخضر، ومع تغير نسبة الخلط بينهما نحصل على درجات كثيرة لهذا اللون، فمنه الفاقع ومنه الأميل إلى الأحمر.

ويتفق القرآن مع العلم الحديث في أن هذا اللون يحمل دلالات وإيحاءات متعددة، وليس له دلالة ثابتة، فأحياناً يدل على السرور والبهجة، أو يدل على المرض والخوف، وتختلف الدلالات بعدة اعتبارات بحسب المجال والموقع والظرف الذي جاء به هذا اللون كما سيأتي في الأمثلة. وقد جاء ذكر اللون الأصفر في القرآن الكريم خمس مرات في محورين كما يأتي:

المحور الأول: في عالم الحياة الدنيافي الآيات الآتية:

1- جاء في وصف بقرة بني إسرائيل قال تعالى: [قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ][69: البقرة] أي شديدة الصفرة تسر الناظرين إليها وتعجبهم بجمال لونها، فالأصفر في هذه الآية دليل مسرة وانشراح ليؤديمهمة وظيفيةٍ بإثارة انطباع حسن في نفس الإنسان.

وقد جاء في علم الألوان الوظيفي أن هناك ألواناً لها تأثير على العين وعلى المشاعر والأحاسيس- سلباً أو إيجاباً- إلا أن اللون الأصفر كان أكثر الألوان إيجابية(88).

وفي علم الألوان الوظيفي كذلك يعد اللون الأصفر الفاقع دعوة مثيرة لبصر الإنسان، وإذا ما مال إلى الأخضر أصبح مريحاً بعض الشيء، وكلما زاد الأخضر زاد هدوءا وراحة.

2- ورد الأصفر في وصف ظواهر طبيعية، قال تعالى: [وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ][51: الروم]، جاءت الآية في ذم المشركين لعدم شكرهم النعمة واختبار الله الناس بإرسال الرياح على النبات حتى إذا ضربه اصفر، فضجوا على ذلك بدل أن يصبروا، فالاصفرار هنا دليل على يبس النبات وموته، لأن الآية تتحدث عن الرياح التي تثير الرمال أو تكون يابسة مضرة بالزرع. وهذا النوع من الرياح معروف في شبه جزيرة العرب والبلدان الصحراوية، وهي رياح خانقة مضرة، وقد كان اللون الأصفر أحد مشاهدها مما له أثر في فساد الزرع فكفر الناس وجحدوا ما تقدم من النعم، ويفسر ذلك قوله تعالى:[أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ][63-65: الواقعة].

يقول ابن كثير: "ولئن أرسلنا رياحاً يابسة على الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوى على سوقه، فرأوه قد أصفر وشرع في الفساد.." (89). ويضيف سيد قطب أن الاصفرار للرياح كذلك فيقول: "تصور الآية حال القوم الذين يستبشرون بالرياح المحملة بالماء ، ثم حالهم لو كانت الرياح التي رأوها مصفرة بما تحمل من رمل وتراب لا من ماء وسحاب، وهي الرياح المهلكة للزرع والضرع أو التي يصفر منها الزرع فيصير حطاماً... فالأصفر للرياح علامة سوء"(90).

والأصفر هنا دلالة على موت النبات ويبسه، ومن هنا يرى البعض أن الأصفر "لون الذبول والخمول والكآبة، والخوف والعذاب والضياع" (91)، ومنه اصفرار الوجه للإنسان كذلك، فهو دليل المرض والذبول أو الخوف والعذاب.

3- وجاء في قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ][21: الزمر]. فقوله تعالى: "يهيج مصفراً قد بلغ غايته المقدرة له في ناموس الوجود...فينضج للحصاد"(92).

والآية مثل ضربه الله للحياة الدنيا، وهذا المثال لا يدركه إلا ذوو الألباب كما عقبت الآية، فحياة النبات تشبه حياة الناس، بعد الخضرة والجمال يكون أصفر يابساً ثم يكون حطاماً بعد ذلك، وهذا يشبه مراحل وجود الإنسان على الأرض، لكن النبات المسبح بحمد ربه ليس له عود إلى الحساب يوم القيامة، والإنس والجن يعودان إلى الله للحساب، فهما كانا مخيرين في الدنيا، وهما يحاسبان على اختيارهما ذلك(93).

فالاصفرار في الآية دليل النضج والاكتمال، وما بعد الكمال إلا النقص، وهو العودة السريعة للحطام، فهو نهاية عملية الإثمار، وقمة النضج يتبعه نهاية لهذا النامي سواء أكان مالاً أم ولداً.

ويفسر ذلك آية أخرى، قال تعالى: [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا][45: الكهف]، "فالصورة قد طويت فيها مراحل، إذ لم يقل كماء أنزلناه من السماء فنبت به نبات فازدهر وأينع، ثم اصفر وذبل، فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وإنما اكتفى بهذا الإيجاز الرائع الطاوي صفحات من المشهد ليعبر عن حقيقة الحياة الدنيا في تقضيها وزوالها بسرعة"(94).

4-ومثل ذلك قوله تعالى:[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ][20: الحديد].

فهذه الآية تؤيد الآية السابقة وتفسرها فهي مثل أراده الله للحياة الدنيا، تشبه غيثاً أنبت نباتاً حسناً فأعجب الكفار ولكنه لا يدوم، كالنبات يهيج فتراه مصفراً، ذلك اللون الدال على الاكتمال والنضج، وبداية الضعف وقرب النهاية وهي مقدمة الحطام (الموت)، فالذين فهموا المثل وعملوا للدار الآخرة لهم[مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ] والذين تغافلوا عنه لهم[عَذَابٌ شَدِيدٌ].

وما أحسن تعليق سيد قطب على هذه الآية بقوله: "الحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمراً عظيماً، هائلاً، ولكن حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً، وهي هنا في هذا التصور تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جد تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة، "كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ" الزراع فيه تورية إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا، [ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا] للحصاد فهو موقوت لأجل ينتهي عاجلاً ويبلغ أجله قريباً ثم يكون حطاماً"(95).

المحور الثاني: في عالم الآخرة ومشاهد القيامة.

جاء اللون الأصفر في وصف مشهد النار يوم القيامة، قال تعالى: [إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ][32-33: المرسلات].

تعبر الآية عن مشهد مفزع، منظر النار التي ترمي ساكنيها وتستقبل داخليها بشرر كأنه جمالة صفر، أي إن الشرارة الواحدة في حجم الجمل الأصفر، واللون هنا وصف للجمال، والجمال وصف للشرر الذي هو بعض ما يتطاير من النار(96).

ويرى البعض أن "الْقَصْرِ" هنا معناه البناء العالي حيث يصف تعالى جهنم و الشرر وهو ما يتطاير في كل جهة، والقصر البناء العالي، وهو واحد القصور، وقيل القصر جمع قصرة. والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ، وشبهها بالجمالات لسرعة سيرها، وقيل لمتابعة بعضها بعضاً"(97).

ومثل ذلك يرى سيد قطب فيقول: "فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر وقد كان العرب يطلقون كلمة القصر على كل بيت من الحجر... فإذا تتابع بدا كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك! هذا هو الشرر فكيف بالنار التي ينطلق منها؟!(98) أعاذنا الله منها.

ويذكر الزمخشري المعنيين فيقول: "كالقصر من القصور عظمها، وقيل الغليظ من الشجر، الواحدة قصرة، شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه... وقيل (صفر) لإرادة الجنس وقيل "صفر" سود تضرب إلى الصفرة"(99).

والآية كما ترى تصور منظراً من عذاب أهل النار كأنه مشاهد حسياً في الذهن، صورة لون الجمال الصفر، أو السود اللاتي تميل إلى الصفرة... والمشهد يرتبط بالآية التي قبلها: [انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ][30-31: المرسلات]. والمهم في هذه الآية أن دلالة اللون الأصفر فيها كانت تعبر عن مشهد الشرر الذي يرتبط بالعذاب لأهل جهنم. وفي دراسة علم وظائف الألوان كذلك يعد اللون الأصفر الفاقع

دعوة مثيرة لبصر الإنسان، وإذا ما مال إلى الأخضر أصبح مريحاً بعض الشيء، وكلما زاد الأخضر زاد هدوءًا وراحة.

والتحليل النفسي للألوان أظهر أن الأصفر الفاقع يثير الغيرة والتنافس في نفوس البشر. ولكون الأصفر اللون الذي يثير في الإنسان الغيرة الممزوجة بالحب، وحب التملك لما يرغب الإنسان من النعم، انصرفت مشيئة الله وحكمته أن يكون اللون الأصفر لوناً لمعدن نفيس له قيمته في حياة الإنسان ، إنه الذهب الأصفر الوهاج(100). كما أثبتت التجارب والأبحاث النفسية أن اللون الأصفر يبعث النشاط في الجهاز العصبي(101).

وكما أن لهذا اللون دلالتين مختلفتين قيل أن من يفضل هذا اللون إما أن يكون متمتعاً بقدرة ذهنية عالية أو متخلفاً ذهنياً(102).

خامساً: اللون الأحمر.

جاء ذكر اللون الأحمر في محورين:

المحور الأول: في عالم الحياة الدنيا.

ورد اللون الأحمر بلفظه مرة واحدة كأحد أصناف الجبال قال تعالى: [مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ][27: فاطر].

واللون هنا وصف لظاهرة طبيعية كما مر لنوع من الجبال والآية كغيرها دليل على عظمة الله وقدرته في خلقه تستدعي التأمل شاهدةً على بديع صنع الله ووحدانيته، فالجبال من صخور وتراب ولكن تختلف ألوانها بحسب ما فيها من معادن فليس اختلاف الألوان قاصراً على الثمار والفواكه، بل في طبقات الأرض والجبال "حتى لتجد الجبل الواحد ذا ألون عجيبة، وفيه عروق تشبه المرجان ولاسيما في صخور المرمر(103).

وإذا كان للألوان أدوارها الوظيفية فضلاً عن كونها سمة من سمات الجمال الذي يزين الطبيعة فإن العلم يكشف لنا أسرار اختلاف هذه الألوان ومنها الأحمر بما يملك من معادن تخدم الإنسان.

ويفسر اللون الأحمر في الجبال علمياً بـــ "شيوع عنصر الحديد فيها وهو الذي يتأكسد فيظهر الصخر بلون أحمر، ويصاحب الحديد معادن فلزية أخرى كالنحاس والرصاص ، وتختلف نسبة وجودها، وبالتالي فاللون الأحمر ذو درجات وليس أحمر قانياً أو محضاً(104).

ويلاحظ كذلك علاقة الماء بلون الصخور، فالقرآن أثبت ذلك حيث يقول: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ][27: فاطر].

والرأي العلمي أن للماء أثراً في ألوان الصخور ومن ثم الجبال، فكما أن للماء دوراً محوريًا في ألوان الثمرات، فإن له دوراً أيضاً في ألوان الجبال. ويحدث كذلك-بأثر الماء- عمليات تجديد مستمرة على قشرة الأرض مع تأثير الضغط والحرارة فتتحول المعادن ويتغير تركيبها الكيميائي وصفاتها الفيزيائية، فيتغير المظهر الخارجي للصخور، وهناك حقائق حول هذا الموضوع تزخر بها كتب الجيولوجيا المتخصصة(105).

وهذه الحقائق العلمية ذكرتها الآيات القرآنية حيث ربطت أثر الماء في تغير ألوان النبات والجبال، بل بتجديد الألوان، ويتفق ذلك مع تفسير كلمة "جدد" على معنى الجدة بمعنى الشيء المتجدد كما مر والله أعلم.

ومن الناحية النفسية فاللون الأحمر يدل على مزاج الناس، وهو يعبر عن العاطفة ويرمز للإثارة إذا ما قورن بلون آخر وهو لون الدم الذي يعبر عن الحيوية أو النشاط أو على الخطر والخوف. وعلماء النفس يرون أن الأحمر هو اللون المفضل للمهتمين بالحياة الدنيا اهتماماً شديداً مع ما يتميزون به من السرعة في الحكم والعمل، وهم معرضون أحياناً للمتاعب، ولكنهم لا يبالون بها كثيراً(106).

وأثبتت التجارب العلمية أن اللون الأحمر يشعر الإنسان بالدفء بعكس اللون الأزرق(107)، وقد استخدم على مجموعة مرضى من الصداع النصفي فتعافى 93 بالمئة منهم جزئياً نتيجة هذا العلاج؛ لأن اللون الأحمر يزيد ضغط الدم ويوسع الأوعية الدموية(108).

المحور الثاني: في عالم الآخرة (القيامة).

وقد ورد اللون الأحمر بصفته ومعناه بموضع ثان في وصف مشهد من مشاهد القيامة قال تعالى: [فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ][37: الرحمن].

والورد هنا يعني الأحمر، جاء في اللسان قال الزجاج في قوله تعالى: [فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ] أي صارت كلون الورد، والورد يتلون فيكون في الشتاء خلاف الصيف، وأراد أنها تتلون من الفزع الأكبر كما تتلون الدهان المختلفة(109).

وفي المفردات: وقيل "وردة في صفاء السماء إذا احمرت احمراراً كالورد أمارةً للقيامة"(110).

ويتفق المفسرون على هذا المعنى، يقول الزمخشري: "وردة حمراء كالدهان: كدهن الزيت ، وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به وقيل: الدهان الأديم الأحمر"(111). وكذلك في الظلال: "وردة حمراء سائلة كالدهان، ومجموع الآيات التي وردت في صفة الكون يوم القيامة تشير كلها إلى وقوع دمار كامل في هذه الأفلاك والكواكب، بعد انفلات من النسق الذي يحكمها الآن، وينسق بين مداراتها وحركاتها منها هذه الآية(112).

فالآية تعبر عن موقف من مواقف الآخرة وأهوالها، تنشق فيه السماء وتتصدع فتتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر أو الأديم الأحمر من شدة الحرارة، فتكون كالمهل أو الدهان الذائب الأحمر اللون في صفاء الدهن، وسوف يتحقق في الآخرة التي لها من القوانين ما يغاير سنن الدنيا. ولعلنا نرى هذا اللون لقرص الشمس قبيل الغروب بلحظات وقد ملأ الأفق الغربي باللون الأحمر فكيف إذا أصبحت السماء كلها بهذا اللون؟ فلا شك هنا أن اللون الأحمر لون الفزع والخوف الذي يصيب المخلوقات يوم القيامة.

ولكن الاكتشافات العلمية سجلت حديثاً صورة مصغرة مرئية في عالم الدنيا، يقول الدكتور زغلول النجار: "ولكن من رحمة الله تعالى بنا أن أبقى لنا من الشواهد الحسية والظواهر المرئية في صفحة الكون ما يؤكد على إمكانية حدوث كل ما أخبر عنه في كتابه الخاتم عن مظاهر الآخرة ، ومنها تصدع السماء وانشقاقها حتى تصير وردة كالدهان.

ومن أمثلة ذلك ما أرسله إلينا تلسكوب هالي الفضائي من صور لعدد من النجوم عند انفجارها، ففي 31 أكتوبر سنة 1999 قامت مؤسسة الفضاء الأمريكية (ناسا NASA) بنشر عدد من الصور التي بثها هذا التلسكوب الفضائي لنجوم في مرحلة الانفجار في سديم باسم سديم (عين القط)، وهذه النجوم على مسافة منا تقدر بحوالي ثلاثة آلاف من السنين الضوئية، وكل نجم من تلك النجوم المنفجرة يبدو في الصورة على هيئة وردة حمراء عملاقة لها من صفاء اللون ما جعل العلماء حتى من غير المسلمين يصفونها بالتعبير الذي ترجمته: (وردة حمراء مدهنة) وكأنه التعبير القرآني بدقته اللفظية والدلالية، ومع تسليمنا بأن انشقاق الآخرة لن يكون بهذه الصورة المصغرة.. إلا أن هذه الصورة الدنيوية المصغرة تبقى مؤكدة لنا على إمكانية حدوث الآخرة بالهيئة التي تصفها هذه الآية الكريمة(113).

سادساً: اللون الأزرق.

هو أحد الألوان الأساسية الثلاثة، ومن مجموعة ألوان الطيف السبعة (قوس الرحمن)، جاء ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة في وصف مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو قوله تعالى: [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا][102: طه].

وقد فسرها ابن كثير بزرقة العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال (114)، ويوضح الزمخشري ذلك فيقول: "قيل في الزرق قولان:

أحدهما أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولهذا قالوا في وصف العدو أسود الكبد أصهب السبال(115)، أزرق العين، والآخر: أن المراد: العمى ؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزارق"(116).

وعلى المعنى الأول فإن دلالة التعبير بزرقة العيون عن حالة الشؤم والعذاب جاء على مقتضى كلام العرب؛ لأنهم كانوا يتشاءمون من زرقة العيون، ومخاطبة القرآن للعرب بمعهود أحوالهم وتصوراتهم أمر معروف، وذلك كتشبيه ثمار شجرة الزقوم برؤوس الشياطين في قوله تعالى: [إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ][64-65: الصافات]، وقيل إن المراد بالزرقة: شخوص البصر من شدّة الخوف(117).

وعلى أية حال فالآية تصور مشهد المجرمين يوم القيامة زرق العيون حين يخرجون من الأجداث إلى ساحة الحشر من شدّة الخوف والعطش، فدلالة اللون توحي بأن لأصحابه شأناً مهيناً، ثم مع تقدم مراحل الحساب تسود وجوههم -كما مرّ في آيات أخرى- وهكذا تدل الألوان من جملة علامات أخرى على حالة أصحابها وما يؤولون إليه في النهاية.

ومجيء هذه الآية الوحيدة لهذا اللون وصفاً لحالة الكفار ليس فيها دلالة حتمية على قبحه ؛ لأن دلالات الألوان تختلف من حالة إلى حالة، ومن موقع لآخر، فالأزرق له مظاهر جمالية كآية من آيات الجمال في الطبيعة، فهو لون السماء التي تشعّ صفاءً وبهجة، وهو لون ماء البحر ، والأفق البعيد، وسمة جمالية رائعة تحس به النفس خفيفاً هامساً رقيقاً ترتاح له، حتى إنه لا يمكن أن نتخيل لوناً آخر يعوض عنه أو يكون بديلاً له.

ومن ناحية علم النفس فقد تبين أن للأزرق تأثيراً على النفس حيث أثبتت التجارب والأبحاث النفسية أن اللون الأزرق يشعر الإنسان بالبرودة، وقد حدث أن صاحب أحد مصانع الألوان أجرى تجربة بأن أعاد تلوين حجرة العاملات باللون الأزرق الخفيف، فبدأت النساء يشكون من رطوبة الغرفة وشدّة البرد ثم اضطررن إلى لبس الملابس الثقيلة، بينما كانت حرارة الغرفة مضبوطة ضبطاً آلياً للرطوبة والحرارة قبل تلوين الغرفة وبعدها (118). وفي دراسة أخرى أجريت سنة 1982م، تم علاج 60 امرأة يعانين من التهاب المفاصل بتعريضهن على اللون الأزرق مدة 15 دقيقة فشهدن تحسناً ملحوظاً بدرجة كبيرة(119).

وهناك عبارات وردت في القرآن تدل على ألوان بينية غير رئيسية، جاءت لوصف أو بيان حالة، نذكرها بإيجاز:

الدهمة: السواد، والأدهم: الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما، وإنما قيل للجَنّة: مُدْهامّةٌ: لشدّة خُضرتها، يقال: اسودّت الخُضرَة، أي اشتدّت، وقد سبق الكلام عنها في معرض الحديث عن اللون الأخضر قوله تعالى: "مُدْهَامَّتَانِ" أي سوداوان من شدة الخضرة من الري(120).

حمئة: من حمأ: الحمأة والحمأ: الطين الأسود المنتن وفي التنزيل: "من حمإٍ مسنون"، وقيل حمأ: اسم لجمع حمأة كحلق اسم جمع حلقة، وقال أبو عبيدة: واحدة الحمإ حمأة كقصبة، واحدة القصب، وحمئت البئر حمأ، بالتحريك، فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة وكثرت. وحمىء الماء حمأ وحمأ خالطته الحمأة فكدر وتغيرت رائحته. وعين حمئة: فيها حمأة وفي التنزيل:[وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ][86: الكهف](121).

قترة: القتر جمع قترة وهي الغبار ومنه قوله تعالى: [تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ][41: عبس] والقتر الجانب والناحية لغة في القطر، وفي أساس البلاغة: وبوجهه قتر وقترة وهو ما يغشاه من غبرة لكرب والموت(122).

البسور: البسر أوله طلع ثم خلال بالفتح ثم بلح بفتحتين ثم بسر ثم رطب ثم تمر الواحدة بسرة و بسرة والجمع بسرات وبسر بضم السين في الثلاثة وأبسر النخل صار ما عليه بسراً، والبسر خلط البسر مع غيره في النبيذ.. وبسر الرجل وجهه كلح.. [ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ][22: المدثر]... قال ابن الأعرابي: ويقال للشمس بُسْرَة: إذا كانت حَمْراء لم تَصْفُ(123).

الغبرة: والغبر: البقاء، والغبر بغير هاء: التراب عن كراع. والغبرة والغبار: الرهج، وقيل: الغبرة تردد الرهج فإذا ثار سمي غباراً، والغبرة: الغبار أيضاً(124).

أحوى: والحوة لون يخالط الكمتة مثل صدأ الحديث وقال الأصمعي الحوة حمرة تضرب إلى السواد، والحوة أيضا سمرة الشفة، يقال رجل أحوى وامرأة حواء، وبعير أحوى إذا خالط خضرته سواد وصفرة، قال الأزهري في قوله تعالى: [فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى][5: الأعلى]، قال الفراء الغثاء اليبيس والأحوى المسود من القدم قال ويجوز أن يكون مؤخراً معناه التقديم تقديره أخرج المرعى أحوى أي أسود من الخضرة فجعله غثاء بعد خضرته(125).

المهل: قيل هو النحاس المذاب، وقال أبو عمرو المهل دردي الزيت، والمهل أيضا القيح والصديد وفي حديث أبي بكر τ: "ادفنوني في ثوبي هذين فإنما هما للمهل والتراب"(126).

والملاحظ أن دلالة كل لون من الألوان السابقة ليست حتمية دائماً، فدلالة كل لون بحسب المجال والحال الذي يذكر فيه ، فلا يدل الأصفر على الذبول والكآبة دائماً، فالقرآن نفسه يستعمل هذه الألوان بدلالات مختلفة.

فالأبيض غالباً ما يدل على السلام والصفاء، ولكن البياض إذا طغى على العين كان إمارة حزن وأسى ومرض كما قال تعالى عن سيدنا يعقوب وقد أصابه العمى من شدّة حزنه على يوسف : [وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ][84: يوسف]. والبياض في الملابس أو الورد أو البشرة غير البياض في العين أو في البقع على الجسم بما يسمى البرص.

واللون الأصفر كذلك قد يكون علامة مسرّة وانشراح كما في قوله تعالى: [إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ][69: البقرة] ، وقد يكون دلالة وعلامة على العذاب كما في قوله تعالى: [إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ][32-33: المرسلات]، أي عذاب أكبر من نار جهنم.

كما يدل في الوقت نفسه على الذبول في النبات، وعلى النضج في الثمار كما مر تفصيل ذلك، أو علامة فساد النبات كقوله تعالى: [وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا..][1: الروم] . كما أن صفرة الوجوه والأجسام علامة ودلالة مرضية ووسيلة للكشف عن نوع المرض.

وحمرة الدم غير حمرة الورد، وغير حمرة الشفق الأحمر، وغير حمرة اللهيب المستعر. وزرقة السماء غير زرقة الوجه وغير زرقة الزهرة، وغير زرقة الماء الآسن. وسواد الفحم غير سواد الشعر، وغير سواد العين وهكذا تختلف الألوان باختلاف الدلالات(127).

ومن هنا نعلم أن اللون الواحد يحمل للنفس عدة إيحاءات بعدة اعتبارات، ولا أكاد أجد من الألوان ما يحمل دلالة ثابتة إلا اللون الأخضر والله أعلم.

ويختلف الحال في حالة تعدد الألوان فقد تستريح له العين وتسر النفس أو تتعب، وذلك يتوقف على انسجام الألوان، فالانسجام أساس الجمال، فما كان منسجماً فهو جميل، وما كان متنافراً فهو قبيح، وتفصيل ذلك علم خاص والخوض فيه يحتاج إلى كلام طويل يخرج عن هدف البحث.

الخاتمة:

من خلال الآيات والأمثلة والشواهد التي سبقت دراستها نستطيع أن نتوصل إلى بعض وظائف الألوان

كما دلّ عليها القرآن، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

1- يقع التمايز بين الأمور بواسطة الألوان من أحياء وجمادات، ولا يمكن الاستغناء عنها، فكل شيء يكتسب معناه وخصائصه من اللون الخاص به، فبالألوان تحدد الأشياء ويسهل التعرف على ما يحيط بالإنسان، فهو مفهوم يساعدنا على كشف هوية الأشياء وبيان خصائصها.
2- يدعو التأمل في ألوان الكون المحيط بنا للشهادة على قدرة الخالق وإثبات وحدانيته.
3- تؤثر الألوان تأثيراً واضحاً في تغيير حالات النفس البشرية بما تبعثه في الروح- من خلال انسجامها وتناسقها- من فرح وسرور وانشراح وارتياح.
4- تكمن أهم وظيفة للألوان في القيمة الجمالية التي تضفي على الكون الزينة والحسن، فهي متعة للنفس وترويح، ومهما ذكرنا من وظائف الألوان فإن الوظيفة الجمالية نراها مقصودة في كل ما خلقه الله من أجل الإنسان، كما أظهر البحث إمكانية استخدام الألوان للتشخيص والعلاج، وفي التأثير على المقابل فيما يراد له.
5- للألوان صلة بالعلوم الأخرى، كالفيزياء؛ لأن الأبيض أصل الألوان وهو مصدر ألوان الطيف الشمسي، كما له علاقة بالعلوم الفلسفية والنفسية والطبية.
6- ورد ذكر ألوان بينية وسطية في القرآن -عدا الألوان الستة الأصلية - مثل: "الغبرة" و"القترة" و"البسور" و"المهل" و"حمأ" و"حمئة" و"الدهمة"، ولها دلالات في التعبير القرآني بلاغية وأدبية ونفسية دقيقة، تدل على الإعجاز البياني.

وأخيراً فإن موضوع اللون ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسات المرتبطة بالحقائق العلمية الثابتة وليس بالنظريات، مثل دراسة كيفية استخدام القرآن للون دون آخر، أو استخدام اللون الواحد مرة في تصوير الجمال، وتارة في تصوير القبح، وغير ذلك من الدراسات الموضوعية والجمالية. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

---

(1) هناك كتب أخرى مثل: ظاهرة الألوان في القرآن، ليلى محمد، والألوان في القرآن، محمد رأفت، والعلاج بالألوان من وحي القرآن، د. أمير صالح، وقد اطلعت عليها من خلال الانترنيت، وأشرت إليها وإلى المواقع الدالة عليها في ثنايا البحث، وهناك كتيبات وأبحاث تناولت الألوان من ناحية استخدامه في فن الرسم.

(2) راجع: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (توفي 817هـ/1414م) **القاموس المحيط**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م، (ط2)، ج2، ص1618، و مجمع اللغة العربية بمصر، **المعجم الوسيط**، إسطنبول، المكتبة الإسلامية، 2ج، ص847.

(3) راجع مصطفى الصاوي الجويني، **المنظور الأدبي للنص القرآني**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص15.

(4) محمد علي الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير** (توفي 774هـ/1372م)، بيروت، دار القلم، 1986 (ط5)، ج1، ص77.

(5) راجع الجويني، **المنظور الأدبي للنص القرآني** ص15.

(6) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (توفي 538هـ/1144م)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997، ج3، ص479.

(7) محمد على الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج2، ص325.

(8) محمد على الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج2، ص137.

(9) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص 124.

(10) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، بيروت، دار الشروق، 1992م، (ط17)، ج 5، ص3047.

(11) راجع: هارون يحيى، **معجزة الله في خلق الألوان** ، ترجمة رنا قزيز ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ص39 و88.

(12) راجع: هارون يحيى ص91، 100.

(13) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير، ج**3، ص146.

(14) انظر: هارون يحيي، معجزة الله في خلق الألوان، ص32، 39.

(15) راجع: هارون يحيى، **معجزة الله في خلق الألوان** ، ص46، 49، 56، 58، 60.

(16) سيد قطب، **في ظلال القرآن** م5، ص2942.

(17) المصدر نفسه.

(18) الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص620.

(19) رواه الإمام أنس بن مالك (توفي 179هـ/796م)، **الموطأ**، ج 1، ص 291-292، محمد بن إسماعيل البخاري (توفي 256هـ/871م)، **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان، ج 1، ص23، وأحمد بن حنبل (توفي 241هـ /856م)، **مسند الإمام أحمد**، بلفظ "إنا أتقاكم لله وأعلمكم به أنا"، وفي موضع آخر من صحيح البخاري بلفظ "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله Y وأشدهم له خشية".

(20) راجع: كاصد ياسر الزيدي،**الطبيعة في القرآن الكريم**، بغداد، دار الرشيد للنشر1980م، (ط1)، ص472.

(21) انظر أمثلة في المرجع السابق، ص166-167.

(22) مسلم بن الحجاج القشيري (توفي 261هـ/875م)، **صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي**، استانبول-تركيا، المكتبة الإسلامية، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (91)، ج1، ص93، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (توفي 275هـ/889م)، **سنن أبي داود**، 4091، وأحمد في مسنده، ج4، ص133.

(23) ليلى محمد محمد، **ظاهرة الألوان في القرآن الكريم** ، مقالة في مجلة منار الإسلام نقلاً عن الشبكة الإسلامية (الإنترنت).

(24) انظر: يوسف: آية 18، 83، والحجر: آية 85، والأحزاب: آية28، 49، والمعارج:5، والمزمل:10.

(25) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (توفي 502هـ/1109) **المفردات في غريب القرآن** تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة، ج 1، ص63، مادة "بهج" وراجع: كاصد الزيدي، **الطبيعة في القرآن الكريم**، ص2091.

(26) هارون يحيى، **معجزة الله في خلق الألوان**، ص10.

(27) rancis Darwin, Life and Letters P. 275 نقلاً عن هارون يحيى، **معجزة الله..** ص104-106.

(28) أ. كريسي موريسون، **العلم يدعو للإيمان**، ترجمة: محمود صالح الفلكي ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية (ط7) 1978م، ص142، وراجع عبد المنعم الهاشمي، **الألوان في القرآن**، بيروت، دار ابن حزم ، (ط1)، 1990م، ص21-24.

(29) عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث** ، القاهرة، مطابع الشعب، 1982م، (ط1)، ص73.

(30) انظر: أمير صالح، العلاج بالألوان من وحي القرآن، http://www.geocities.com، والهاشمي، ص37.

(31) عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث** ، القاهرة، مطابع الشعب، 1982م، (ط1)، ص73.

(32) الهاشمي: عبد المنعم، **الألوان في القرآن**، ص37.

(33) بشر بن أبي خازم (توفي نحو 32 ق.هـ- 598م) عمرو بن عوف الأسدي أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة، له قصائد في الفخر والحماسة جيدة، وله ديوان شعر(مطبوع) حققه الدكتور عزة حسن، في دمشق. مصادر ترجمته: الشعر والشعراء، ص 86. وأمالي المرتضى، ج 2، ص 114، وخزانة البغدادي، ج 2، ص262. الجويني: **المنظور الأدبي للنص القرآني**، ص13.

(34) بشر بن أبي خازم (توفي نحو32 ق.هـ- 598م) عمرو ابن عوف الأسدي أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة، له قصائد في الفخر والحماسة جيدة، وله ديوان شعر (مطبوع) حققه الدكتور عزة حسن، في دمشق. مصادر

ترجمته: الشعر والشعراء، ص86. وأمالي المرتضى، ج2، ص114. وخزانة البغدادي، ج2، ص262.

(35) د. خلف خازر الخريشة، إيقاع اللون الأبيض في شعر بشر بن أبي خازر، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى**، مجلد (15) العدد 25، ص853.

(36) سيد قطب، **في ظلال القرآن، ج 5**، ص2943.

(37) آزاد يونس، **العلاج بالألوان**، بحث على شبكة الإنترنت، ميدل إيست أون لاين، ص1– 2.

(38) رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، برقم (3158)، ج 3، ص1213، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، برقم (2638)، ج4، ص2013، وأبو داود في **سننه** برقم (4834)، ج4، ص260، وأحمد في **مسنده** برقم (7622)، ج2، ص295.

(39) د. أمير صالح ، **العلاج بالألوان من وحى القرآن** ، موقع: http://nooran.org.

(40) انظر: الهاشمي، **الألوان في القرآن الكريم** ، ص18، نقلاً عن: د. أحمد زكي، **في سبيل موسوعة علمية**.

(41) من هؤلاء المرحوم سيد قطب في كتابه: **التصوير الفني في القرآن الكريم**.

(42) انظر: عبد المنعم الهاشمي، **الألوان في القرآن** ، ص21، 52.

(43) الزمخشري، **الكشاف، ج3**، ص61. والبرص يجعل البشرة بيضاء مشوهة، والأدمة: السمرة، والآدم من الناس: الأسمر، انظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، ج12، ص11، وأبو بكر الرازي، **مختار الصحاح** ، ج1، ص10.

(44) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (671هـ/1272م)، **الجامع لأحكام القرآن** ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، 1995، ج7، ص257.

(45) سيد خضر، **من سمات الجمال**، طنطا، دار الصحابة للتراث، (ط1) 1993م، ص45.

(46) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص257. د. كارم السيد غنيم، **الجبال اختلاف الألوان وثراء في الصنعة** بحث في الانترنيتموقع: (إسلام أون لاين).

(47) الراغب الأصفهاني ، **المفردات في غريب القرآن**، ج1، ص89.

(48) د. كارم السيد غنيم، **الجبال اختلاف في الألوان وثراء في الصنعة** ، نقلاً عن شبكة الإنترنت www.islamonline.com علوم وتكنولوجيا العلم والإيمان، ص 1–2. منشورة في مجلة المنهل، عدد499. وراجع بحث: د. زغلول راغب النجار، **آيات الكون في القرآن الكريم**. شبكة الإنترنت (إسلام أون لاين) www.islamonline.com، و زغلول راغب النجار: **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة الشروق، 2001م.

(49) أبو حيان الأندلسي (توفي 745هـ/1345م)، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط1) 2001م، ج 7، ص 296، وقراءة الزهري بفتحتين لم يرد في كتب القراءة المتواترة أو الشاذة شيء من هذه القراءات، فهو مما هو فوق الشاذ، أي ليست قراءات معتبرة لدى العلماء، ولا يصح بها أثر.

(50) الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص619.

(51) د. كارم السيد غنيم، **الجبال اختلاف في الألوان** . موقع: إسلام أون لاين.

(52) انظر: موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: http://www.55a.net/firas/arabic

(53) د. قزمور دياب، **مع الطب في القرآن الكريم**،ص59. نقلاً عن: محمد سامي محمد،**الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**،دمشق، دار المحبة ص153.

(54) سيد قطب، **في ظلال القرآن، ج1**، ص445.

(55) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج3، ص178.

(56) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص45.

(57) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير، ج3**، ص178– 179.

(58) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص45.

(59) عبد المنعم الهاشمي،**الألوان في القرآن** ص42–243.

(60) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب قول الله "وكلوا واشربوا.." برقم (1817)، ج2، ص766، وكتاب التفسير، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط.. برقم (4240)، ج 4، ص 1640، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصوم، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، برقم (1090)، ج 2، ص766.

(61) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج1، ص165.

(62) الفيروزآبادي (توفي 817هـ/1414م) **القاموس المحيط، ج**1، ص207. وابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص646، ونقل القرطبي عن أبي عبيدة: أن في الكلام تقديم وتأخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب، ج14، ص343.

(63) جلال الدين السيوطي (توفي 911هـ/1506م)، **جمع الجوامع** برقم (5178)، ج2، ص310، المتقي الهندي (توفي 975هـ/1568م)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** برقم (17335)، ج6، ص284، وشمس الدين الذهبي (توفي 748هـ/ 1348م)، **ميزان الاعتدال**، ج3، ص77، وإسماعيل العجلوني (توفي 1162هـ/1749م)، **كشف الخفا ومزيل الإلباس** ...، برقم (758)، ج 1، ص289، وقال: رواه الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير**: وفيه رشدين فإن كان رواه ابن سعد فقد ضعفه الدارقطني، أو ابن كريب فقد ضعفه أبو زرعة.

(64) الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص618–619.

(65) د. كارم السيد غنيم، **الجبال اختلاف في الألوان.**

(66) انظر: موقع: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(67) سيد قطب، **الظلال**، **ج4**، ص2178.

(68) الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 447. وأربد: لون إلى الغبرة.

(69) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص3059.

(70) الجويني: د. مصطفى الصاوي، **المنظور الأدبي للنص القرآني**، ص19.

(71) سيد خضر، **من سمات الجمال**، ص46–47.

(72) انظر: الهاشمي، **الألوان في القرآن**، ص107.

(73) سيد قطب، **الظلال**، ج2، ص1161.

(74) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج1، ص602.

(75) راجع: الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج2، ص553.

(76) انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص170.

(77) انظر: الزمخشري، **الكشاف**، **ج4**، ص33.

(78) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2977.

(79) راجع: الزيدي، **الطبيعة في القرآن الكريم**، ص350.

(80) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، **ج2**، ص418.

(81) سيد قطب، **الظلال**، **ج4**، ص2270.

(82) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص674.

(83) انظر: الزمخشري، ج 4، ص 452، وانظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص458.

(84) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، **ج3**، ص424.

(85) انظر: نوفل، **القرآن والعلم الحديث** ، ص 75–76، وراجع: محمد سامي، **الإعجاز العلمي**، ص157.

(86) محمد السقا عيد، الألوان في القرآن، بحث موقع: www.55a.net/firas/arabic/

(87) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص62252.

(88) الهاشمي، **الألوان في القرآن**، ص91.

(89) مختصر ابن كثير، ج3، ص59.

(90) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2775.

(91) الجويني، ص19.

(92) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص3048.

(93) سيد خضر، **من سمات الجمال**، ص49–50.

(94) كاصد ياسرالزيدي، **الطبيعة في القرآن الكريم**، ص476.

(95) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3491، وانظر الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص476.

(96) راجع: سيد خضر، **من سمات الجمال**، ص50.

(97) انظر القرطبي **الجامع لأحكام القرآن**،ج10، ص163.

(98) انظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص2794.

(99) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص682.

(100) راجع: الهاشمي، **الألوان في القرآن**، ص81–82.

(101) عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث**، ص75.

(102) أحمد زكي، **في سبيل موسوعة علمية** ، ص339، نقلاً عن: الهاشمي، **الألوان في القرآن**، ص37.

(103) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1996م، ج2، ص391- 392.

(104) د. كارم السد كريم، **الجبال اختلاف في الألوان وثراء في الصنعة**، ص2 شبكة الأنترنت.

(105) راجع التفاصيل في: المصدر السابق، ص2-3.

(106) راجع الهاشمي، **الألوان في القرآن**، ص37 و75.

(107) راجع: عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث**، القاهرة، مطابع الشعب، 1982، (ط1)، ص75.

(108) آزاد يونس، **العلاج بالألوان** ، بحث على شبكة الأنترنت، ميدل إيست أون لاين، ص2.

(109) محمد بن مكرم بن منظور (توفي 711هـ/1312م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (ط1)، مادة ورد.

(110) الراغب الأصفهاني، **الغريب في مفردات القرآن**، ص520.

(111) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص449.

(112) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3456.

(113) زغلول النجار، **من آيات الإعجاز العلمي في القران** القاهرة، مكتبة الشروق، 2001م، ص65-66.

(114) راجع الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير، ج 2**، ص493.

(115) السبال مقدمة اللحية، وما أسبل منها على الصدر ومعناه: أنهم حمر شعور لحاهم، انظر اللسان مادة سبل.

(116) الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص87-88.

(117) راجع: القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 11، ص244، وانظر: الهاشمي، ص97-98.

(118) عبد الرزاق نوفل، **القرآن والعلم الحديث**، ص75.

(119) آزاد يونس، **العلاج بالألوان** ، بحث على شبكة الأنترنت، ميدل إيست أون لاين، ص2.

(120) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج12، ص209، و أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، (ط1) 2001م، ج6، ص124.

(121) ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص61، الأزهري، تهذيب اللغة، ج 5، ص79، المعجم الوسيط ، ج1، ص195.

(122) محمود بن عمر الزمخشري ، **أساس البلاغة** ، بيروت، دار الفكر، 1979م، ج1، ص491، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، **مختار الصحاح** ، تحقيق: محمود خاطر، لبنان، مكتبة ناشرون، 1995، ج1، ص218.

(123) الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص21، والأزهري، مختار الصحاح ج1، ص21.

(124) ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، ص4.

(125) الرازي، **مختار الصحاح** ، ج1، ص 68. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج37، ص497.

(126) الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 266، وانظر الأثر: المناوي، **فيض القدير** ، ج 6، ص 279، وأبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ/ 1210م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ج1، ص385.

(127) الجويني مصطفى الصاوي، **المنظور الأدبي للنص القرآني**، ص21.